

الدار الثقافية للنشر





(مزيدة ومنقحة)

محمد على قطب

فهرس

٣ – الحسن البصرى **من تبع التابعين** ١ – الإمام مالك بن أنس ٢ – الإمام الشافعى ٣ – سفيان الثورى **من تبع أتباع التابعين** ١ – الإمام أحمد بن حنبل ٢ – الإمام البخارى ٣ – الإمام مسلم ٤ – الإمام أبو داود ٥ – الإمام الترمذى	

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد عليه وعلى آله صحبه وصلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين. أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة،وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

أما بعد ؛ لقد حظيت سنة رسول الله ﷺ خلال عهود طويلة حظوةً كبرى، إذ أقبل عليها العلماء بالحفظ والدرس ؛ وحرصوا عليها حرصا لم توفق إلى مثله أمة، فجمعوا من كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ووعوا منها فى صدورهم ما لا يدخل تحت حصرٍ.

ولما كانت المصنفات فى هذا الفن كثيرة وواسعة، وعسيرة التناول عوّلت – مستعيناً بالله – على كتابة مختصر فى (علوم الحديث) ؛ راعيت أن يكون جامعاً لكل العلوم التى انبثقت عن هذا الفن ، حاوياً ما يحتاج إليه الطالب فى هذا الميدان . وقسمته على أبواب خمسة:الباب الأول فى (تاريخ الحديث)، الباب الثانى (فى التصنيف)،الباب الثالث (فى مصطلح الحديث)، الباب الرابع فى (مكانة الحديث)، الباب الخامس (فى التراجم) .



مقدمة الطبعة الثالثة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مُضلّ له ، ومن يضلل فلا هادى له؛ والصلاة والسلام على رسول الهدى والنور سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد ؛ فإن العصر الذى يعيشه المسلمون خاصة والإنسانية عامة بأمسّ الحاجة إلى النور الذى يبدد الظلمة ؛ وإلى العلم يدحر الجهل ؛ وليس من ريب أبداً فى أن السُّنَّة النبوية، وما انطوت عليه من كنوز خير معوان على الفلاح، وأنها لتتضاءل أمامها كل الدعوات الإصلاحية فلتصغر وتصغُر حتى تتلاشى.

فيسعدنى أن أقدم الطبعة الثالثة من (علوم الحديث) منقّحة من الأخطاء المطبعية ما أمكننى ذلك . ومزيدة فيما

رأينا الحاجة ضرورية له ، سائلاً الله تعالى أن يسدد خطاذ ا
لما يحبه ويرضاه ؛ ويوفقنا إلى ما فيه خير أمتنا – والبشرية
جمعاء – فى الدنيا والآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

صيدا فى ربيع الثانى

سنة ١٤٠٧هـ .



مقدمة الطبعة الخامسة

إن الحمد لله ؛ نحمده تعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإن السنة النبوية الشريفة – بعد كتاب الله تعالى – خير سبيل وأقوم طريق إلى فهم الدين ، والتمسك بحبل الله المتين ، مأمورٌ بها من الله العلى القدير: ﴿وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾؛ ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى﴾.

ولقد عرف الصحابة – رضوان الله عليهم – منـ . زلتها ومكانتها، فحفظوها ووعوها، واستوعبتها صدورهم وعقولهم ، وتأسوا بها!

وكذلك التابعون الذين نشطت نفوسهم إلى تناقلها وضبطها ، والتحرى والدقة فى روايتها. ثم انتقل هذا الاهتمام إلى تبع التابعين الذين علقوا على تدوينها مـ ع نهايـ ـة القـ ـرن الأول الهجرى وبداية القرن الثانى، بأمانة علمية بالغة .

ومن ثم نشأ علم الحديث ، وما يتفرع عنه مـ ـن العلـ ـوم وهى من أشرف العلوم، وأسماها مكانة، وأعلاها منـ ـزلة .

ولقد عكف كثير من العلماء على السنة النبوية المطهرة ، فخدموها خدمات جلّى ، تتبين لنا من خلال ما خلفوا لنا مـ ـن تراثٍ ، ومؤلفاتٍ ، ومصنفات .

ولقد توسع علم الحديث مع تعاقب السنين ومرور الأعوام ، توسعاً كبيراً وشاملاً ، فكثرت الكتب التى تتناولـ ـه حتـ ـى غطت مساحة عريضة من المكتبة الإسلامية .

وكان لى – بفضل الله تعالى ورحمته – أن أسهم بجهـ ـد المقـ . . . . ـل فى هذا الميدان ، وأقدم للقارئ الإسـ ـلامى ، وطلبـ ـة علـ ـم

الحديث ، أو الراغبين فيه ، كتابى (مختصر علوم الحديث)؛ الذى لاقى رواجا وإقبالاً، وقد ربت طبعاته المتعددة على أربع.

ويسعدنى ويشرفنى أن تكون الطبعة الخامسة من إسهامات الدار الثقافية فى مجال الفكر وخدمة العلم.

والله أسأل أن يجعل عملى هذا فى ميزان حسناتى يوم لقائه .

والحمد لله رب العالمين

القاهرة – غرة رجب ١٤١٩هـ . – ١٩٩٨/١٠/٢١م

محمد على قطب

تاريخ الحديث

تاريخ الحديث

الحديث والسنة:

الحديث لغة : ضد القديم ، واصطلاحا: ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو صفة . ولقد سمى بذلك – تمييزا له عن القرآن الكريم الذى هو كلام الله تعالى .

والسنة لغة : (الطريقة)، حسنة كانت أم سيئة، يبين ذلك قوله ﷺ: "من سن سُنَّة حسنة فلَهُ أَجْرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليْهِ وِزْرُها وَوِزْرُ من عمل بها إلى يوم القيامة"، واصطلاحا ما أثر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

يتضح مما تقدم أن المعنى الاصطلاحى واحد فى (الحديث والسنة).

وعلى هذا أكثر الباحثين والكاتبين؛ بالرغم من تحرج البعض ودقته، إذ يرى أن كلمة (الحديث) عامة فى قول النبى ﷺ وفعله، و(السنة) خاصة بأعماله.

والذى عليه الإجماع أنهما مترادفان لأنهما مـ ن مـ ورد واحد؛ فتوجيهه – عليه الصلاة والسلام – بالقول أو التقرير؛ وطريقته فى الحياة بالفعل أو الصفة لا تباين فيها.

وعرَّف بعض المحققين الحديث بقولهم: "ما أضيف إلـ ى النبى ﷺ أو الصـ حابى أو التـ ابعى، ليشـ مل المرفـ وع ، والموقوف ، والمقطوع".

التدوين:

من المشهور لدى الكثيرين أن تدوين الحديث إنما كان فى عصر أوساط التابعين فى أول المائة الثانية من الهجرة حين أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ﵁ المتـ وفى (١٠١هـ .) عامله على المدينة أبا بكر بن محمد بن حزم أن يكتـ ب مـ ا عنده بالمدينة من الحديث وأن يجمع ما عند عُمْرَةَ بنت عبـ د الرحمن الأنصارية، وما عند القاسم بن محمد، خوفـ اً علـ ى السنة من الضياع لكثرة موت العلماء وحملـ ة السـ نة فـ ى الحروب والفتوح.

وكان أول من دونها محمد بن مسلم بن شهاب الزهـ رى المتوفى (١٢٤هـ .). ولكن الحقيقة غير ذلـ ك ؛ فقـ د بـ دئ

بتدوين الحديث فى حياة النبى ﷺ . ثم مر بـ أدوار متعاقبـ ـة حددها بعضهم بثمانية ، تبعاً للتقسيم الزمنـ ـى، حتـ ـى آخـ ـر عصـ . . ـر الروايـ . . ـة فـ . . ـى حـ . . ـدود السـ . . ـنة (الثلاثمائة هـ ـ).

الدور الأول: فى حياة النبى ﷺ:

لم يكتب من الحديث فى حياته عليه السـ ـلام إلا القليـ ـل ؛ وذلك بسبب شيوع الأمية بين الصحابة ؛ فكـ ـانوا يعتمـ ـدون على الحفظ لسـ ـيلان أذهـ ـانهم وضـ ـبط صـ ـدورهم ، ولأن انشغالهم بالقرآن الكريم والفتوح، صرفهم عن ذلـ ـك ؛ ولأن النبى ﷺ نهى عن كتابتها لئلا تلتبس بالقرآن. ولكنـ ـه أجـ ـاز جماعة من الصحابة، وكتب كتباً فيها أحكام لبعض الأمصار. وكذلك أصحابه فمنهم من أجاز جمعها وجمع لنفسـ ـه منهـ ـا، منهم: عمر وعلى وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس ابن مالك وجابر بن عبد الله.

فالنهى من رسول الله ﷺ محمول على كتابة غير القـ ـرآن مع القرآن فى مكتوب واحد.

١ – جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة قوله:
"لم يكن أحد أكثر منى حديثاً إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ابن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب".

٢ – أمر النبى ﷺ بالكتابة لأبى شاه خطابته عليه السلام التى خطبها بمناسبة ما وقع بين بنى ليث وخزاعة، وقال عليه السلام : "اكتبوا لأبى فلان". رواه البخارى.

٣ – جاء فى مُسْنَد الإمام أحمد "كتب النبىأحكام الصدقة وأنصباءها ولم يخرجها إلى عماله، وأخرجها بعده أبو بكر وعمر".

٤ – روى أبو داود فى سننه (كتابة النبىﷺ للحارث بن مسلم التميمى وَصَاةً ، وأنه ختم على المكتوب ورفعه إليه).

الدور الثانى: عصر الخلفاء الراشدين

كانت الرواية فى هذا الدور قليلة، نظراً لتشدد الصحابة – رضوان الله عليهم – فى قبولها مما أدى إلى عدم انتشارها وعدم تدوينها.

فقد روى أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – استأذن عليه أبو موسى الأشعرى، فلم يأذن له فانصرف، فطلبه عمر فروى له الحديث: "من استأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف"، وأنه استأذن ثلاثاً، فقال عمر: إما أن تأتينى ببينة على ما رويت وإلا لأفعلن بك – يريد تعزيره – فلما شهد له أبو سعيد الخدرى، قال له عمر: أما إنى لم أتهمك فى دينك ولكنها الرواية عن رسول الله ﷺ.

وروى أن عليا – كرّم الله وجهه – كان يستحلف الراوى ويقول: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُه".

الدور الثالث: عصر صغار الصحابة وكبار التابعين

ولقد وجد فى هذا الدور من يجيز كتابة الحديث تبعاً لبعض الصحابة ممن سبق وأجازوا الكتابة مثل: بشير بن نُهَيْك وسعيد بن جبير، كما وجد من كره تدوينه؛ اقتداء بالبعض الآخر من الصحابة ممن كرهوا التدوين مثل الشعبى وإبراهيم النخعى. ولقد روى عن بشير بن نهيك أنه قال: "كنت أكتب ما أسمع من أبى هريرة فلما أردت أن أفارقه

أتيته بكتابى وقرأته عليه وقلت له: هذا ما سمعت منك؟ قال: نعم".

ومع هذا كانت الكتابة قليلة نظراً لتفرق الصحابة فى البلدان أمراء وقضاة ومعلمين، ولموت بعضهم فى الحروب.

الدور الرابع: عصر أوساط التابعين

وهو العصر الذى ابتدأ فيه التدوين بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه – كما سبق وأشرنا إلى ذلك، فقام بتدوين ما عندهم من السنة بنشاط وهمة.

الدور الخامس: عصر أواخر التابعين وتبع التابعين

شاع التدوين فى هذا العصر وانتشر فى جميع الأقطار الإسلامية تتميمًا للعمل، وصوناً للنصوص من أصحاب النحل التى ظهرت فى ذلك الحين من المبتدعة وغيرهم؛ وقد أخذ الدسّ والوضع طريقهما إلى السنة انتصاراً للمذاهب فى هذا الدور.

ومما يتميز به التدوين فى تلك الآونة فقدان التنظ يم؛ إذ جمعت أقوال النبى ﷺ وأفعاله ممزوجة بـ أقوال الصد حابة والتابعين وفتاويهم مرتبةً على أبواب الفقه. كما يشاهد فـ ى موطأ الإمام مالك رضى الله عنه. وكان ممن عمل بـ الجمع والتدوين مالك بن أنس المتوفى (١٧٩هـ .)، وسفيان الثورى المتوفى (١٥٠هـ .)، والربيع بن صبيح المتوفى (١٦٠هـ .)، والأوزاعى المتوفى (١٥٦هـ .).

الدور السادس: عصر تبع التابعين

يتميز هذا الدور عن الذى سبقه بتلافى الفوضى، وتدارك التقصير، إذ قام علماؤه بكتابة المسانيد مقتصرة على السد نة النبوية وحدها دون أقوال الصد حابة والتـ ابعين وفتـ اويهم. ولكنهم لم يبلغوا فى ذلك غاية الكمال؛ إذ جمعوا إلى جانـ ب الصحيح من السنة الضعيفَ من الروايات، منهم : أبـ و داود الطيالسى المتوفى (٢٠٤هـ .)، وعبيد الله بن موسى العبسد ى المتوفى (٢٢٣هـ .)، ونُعَيْم بن حماد المتـ وفى (٢٢٩هـ . .)، وعلى بن موسى المدينى المتوفى (٢٣٤هـ .)، وابن راهَوَيْـ ه المتوفى (٢٣٧هـ .)، وأحمد بن حنبل المتوفى (٢٤١هـ .).

الدور السابع: عصر تبع التابعين (ممن عاصر البخارى):

دونت فى هذا العصر السنة الصحيحة فقط ، ورتبت على الأبواب والمواضيع ، وكان من أعلام هذا العصر أصحاب الكتب الستة:

البخارى المتوفى (٢٥٦هـ)، ومسلم المتوفى (٢٦١هـ)، والترمذى المتوفى (٢٧٩هـ)، وأبو داود المتوفى (٢٧٥هـ)، وابن ماجه المتوفى (٢٧٣هـ)، والنسائى المتوفى (٣٠٣هـ).

الدور الثامن: عصر المتأخرين

وهذا الدور هو آخر المطاف لعصور الرواية وتدوين السنة وذروة الإشتغال بها ؛ فيه رتبت كتب المتقدمين ، وهُذّبت ، واختُصرت، وشرحت . وكان أشهر من عمل فى هذا المضمار، أبو عبد الله الحميدى، وأبو السعادات مبارك بن الأثير،ونور الدين على الهيثمى، والسيوطى. وجميعهم جمعوا المتون بغير إسناد.

طلب الحديث:

نشأ الحديث أول ما نشأ فى المدينة المنورة ، فكانت مستودعه الأمين ومستقره المكين فلا عجب أن سُميت (دار السنة) ، ولما كثرت الفتوح وتفرق العلماء فى الأمصار ، اتخذ أكثرهم (مراكز) جديدة شع منها نور السنة على الوجود الإسلامى كله ، وكان أن اشتهر فى كل إقليم رواة ومرويات اتسمت بالتباين ؛ مما كان حافزاً لطلاب السُّنة أن لا يكتفوا بما لديهم فى بلدهم منها، فنشأت عند الكثيرين الرغبة فى الرحلة للتزيّد.

بدأ ذلك فى القرن الهجرى الأول وكان من روّاده أبو الدرداء – رضى الله عنه – إذ كان يقول: "لو أعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها علىّ إلا رجل ببْرك الغماد لرحلت إليه، وجابر بن عبد الله الأنصارى الذى ابتاع بعيراً وشد عليه رَحْلَهُ، وسار شهراً حتى قدم الشام ليسأل عبد الله بن أُنيْس عن حديث القصاص.

ولم يكن التزيّد فى العلم وحده هو الحافز على الرحلة فى طلب الحديث، بل التثبت من الراوى والرواية؛ لأن معرفة الرجال نصف العلم، كما يقول على بن المدينى.

ولقد جاء فى وصف هؤلاء الرحّالة أنهم: "لا يعوقهم فقر ولا يفُتّ فى عزمهم صعوبة الطريق وأخطار ، سواءٌ عليهم الصحراء وحرها، والبحار وأمواجها؛ إذ تغلغل فى نفوسهم اعتقاد أن طلب العلم جهاد، فمن مات فى سبيله مات شهيداً".

لا ريب أن هذه الصورة المشرفة من صور الكفاح آية من آيات الجهاد العلمى العظيم الذى احتمل مشاقة طائفة كريمة من الجدود والآباء، يقابلها صورة هابطة للنفوس الضعيفة التى اتخذت من الحديث والرحلة فى طلبه تجارة وتكسباً. فيعقوب بن إبراهيم بن سعد كان يحفظ الحديث الذى رواه أبو هريرة، والذى ينهى فيه رسول الله ﷺ عن الاغتسال فى الماء الدائم إذا أصابته نجاسة؛ وكان لا يحدث بهذا الحديث إلا بدينار. ولم يُترك يعقوب وأمثاله يمضون فى تجارتهم؛ إذ تصدى لهم العلماء الأشراف يضربون على أيديهم ويكافحونهم، حتى تحرّج بعض الرواة أن يقبل الهدية. رُوى عن محمد بن الحجاج، قال: "كان رجل يسمع من حماد بن سلمة فركب بحر الصين، فقدم ، فأهدى إلى حماد، فقال له حماد: اختر، إن شئت

حدثتك ولم أقبل الهدية. فقال: لا تقبل الهدية وحدثنى، فـ ـرد الهدية وحدّثه".

أثر الرحلات:

لقد كان لهذه الرحلات آثار بعيدة المدى متعددة الجوانب، فمنها:

أولاً: جعل العالم الإسلامى المترامى الأطـ ـراف أشـ ـبهَ بالمدينة الواحدة، إذ لم تعد المسافات الشاسعة تشـ ـكل عائقـ ـاً عسيراً يحجز الطلاب عن بلوغ أهدافهم، وهانت المشاق أمام عزائمهم، وحرصهم على التلقى، وأضحت المدن التى يقطنها حَمَلَةُ السُّنَّة تستقطب طلابه، ويلتقى فى المدينة الواحدة العديد ممن وفدوا على الأعلام يشافهونهم ويستمعون منهم.

ثانياً – توحيد النصوص:

إن تفرق الرواة فى الأقاليم كان سبباً لاختلاف العبارات، ولكن الأمر لم يستفحل ، فسرعان مـ ـا أعطـ ـت الـ ـرحلات

نتائجها وظهرت آثارها وأخذت الروايات المتباينة في التقارب حتى وحدت.

ثالثاً – توحيد التشريع والاعتقاد:

ومن الأمثلة البارزة على ذلك حديث النيّة : "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه".

"فمن هذا الحديث استنبط العلماء كثيراً من المسائل الفقهية التى صدروا فيها عن سماحة الإسلام فى معالجة الضمير البشرى وتعويله على القلوب والسرائر لا على الصور والأشكال"[1].

---

(١) راجع علوم الحديث ومصطلحاته، للدكتور صبحى الصالح، ص (٦٠) .

دُور الحديث:

ومع التطور الحضارى الذى عاشته الأمة الإسلامية ، فى مختلف الميادين ، كان لا بد لطلب العلم أن يأخذ شكلاً جديداً يتفق مع المضمون الراقى الذى يتأصل فى دورها القيادى.

ففى العقد السابع من القرن السادس الهجرى أنشأ نور الدين محمود زنكى أول دار للحديث فى دمشق (٥٦٩هـ .) وسميت المدرسة النورية. وكان ابن عساكر صاحب (تاريخ دمشق) من شيوخ هذه المدرسة، وهو أبو القاسم على بن الحسن الدمشقى الشافعى، مما أضعف الرحلة فى طلب الحديث.

ثم أنشأ الملك الكامل، ناصر الدين الأيوبى سنة (٦٢٢هـ .) مدرسة أخرى فى القاهرة، وكان من أساتذتها البارزين أبو الخطاب بن دحية: عمر بن الحسن الأندلسى، وذلك حسب ما روى المقريزى فى خططه (٣٧٥/٢).

ثم تأسست فى دمشق المدرسة الأشرفية (٦٢٦هـ .)، وكان من شيوخها ابن الصلاح، أبو عمرو تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن الكردى الشهرزورى. ومن تلامذتها النابهين

الإمام النووى، محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى. كما نشأت بعد ذلك فى دمشق وغيرها مدارس كثيرة، إلا أنهالم تبلغ من الشهرة شأواً بعيداً؛ ثم انقرضت مع الأيام.

ألقاب المحدثين:

١ – المبتدئ:

وهو من يروى الحديث بإسناده، وليس له علم بأسانيد المتون ومعرفة رجالها ، ولا يعلل المتون ، ولا معانيها ، ويسمى أيضاً طالب أو مُسند.

٢ – المحدِّث:

تباينت ضوابط العلماء فى تعريف المحدث ، فقسم منهم عرّفه بالحدّ الأعلى مريداً بذلك المحدث الكامل، وقسم منهم عرفه بالحد الأدنى ، وقسم آخر اجتهد فى ذلك وجعل حدًّا ضابطاً لمن يصل إلى هذه المرتبة. وليس من شك فى أن من لقّب بالمحدّث يتساوى مع غيره. أضف إلى أن المحدث فى عصر من العصور لا يتساوى مع غيره فى عصر آخر.

قال التاج السبكى:

"هو – المحدث – من عَرَفَ الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالى والنازل وحفظ من ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب الستة[1]، ومسند أحمد[2] وسنن البيْهَقى ومعجم الطبرانى، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية" وقال: "هذا أقل درجاته".

وقال أبو الفتح ابن سيد الناس:

"أما المحدث فى عصرنا فهو من اشتغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع رواته ، واطلع على كثير من الرواة والمرويات فى عصره وتميز فى ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر ضبطه".

٣ – الحافظ:

وأيضاً اختلف العلماء فى حدّه وضبطه ؛ لأنه مأخوذ من الحفظ، والحفظ يطلق على كل تعهد ورعاية، ويطلق على هيئة النفس التى يثبت بها الحافظ ما يؤدى. وعلى

---

(١) مصنفات البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(٢) أحمد بن حنبل .

استعمال تلك القوة؛ ومقدار الحفظ الذى يكون به العالم حافظاً فى الاصطلاح، ويرجع فيه إلى العرف وهو يختلف باختلاف الأزمان.

عرّفه جمال الدين المزى بأنه : "من بلغ حدًّا يرجع فيه إلى العرف". ثم فسره بأنه: "من كان الرجال الذين يعرفهم أكثر من الذين يجهلهم". وعرفه أبو الفتح ابن سيد الناس، فقال: "فإن توسع – أى المحدث – فى ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله فهذا هو الحافظ". وعرفه بعض العلماء بأنه من أحاط علمه مائة ألف حديث مع معرفة رجالها وأسانيدها.

٤ – الحجة:

هو "الحافظ البالغ فى الحفظ والإتقان مبلغاً يصح به أن يكون حجة عند العام والخاص".

٥ – الحاكم:

هو "من أحاط علمه بجميع الأحاديث المروية متناً وسنداً وجرحاً وتعديلاً وتاريخاً، ونحو ذلك مما يتعلق بها من ناحية هذا الفن".

من وصل لدرجة المحدث:

١ – هُشيم بن بشير بن أبى خازم قاسم الواسطى المتوفى (١٨٣هـ).

٢ – أحمد بن مروان المالكى – صاحب كتاب المجالسة – المتوفى (٢٩٣هـ).

٣ – أحمد بن حجر الهيتمى، أبو الفضل ، صاحب الفتاوى الحديثية المتوفى (٩٧٣هـ).

من وصل لدرجة الحافظ :

١ – عبد الرحمن بن مهدى المتوفى (١٩٨هـ).

٢ – ابن أبى حاتم الرازى المتوفى (٣٢٧هـ).

٣ – ابن عساكر – على بن الحسن، أبو القاسم – المتوفى (٥٧١هـ).

من وصل لدرجة الحجة:

١ – حسين المعلم بن ذكوان المتوفى (١٤٥هـ) .

٢ – هشام بن عروة بن الزبير المتوفى (١٤٦هـ).

٣ – أبو نعيم الجرجانى الاستراباذى، عبد الملك بن محمد المتوفى (٣٢٣هـ).

من اشتهر بوصف الحاكم:

١ – أصحاب الكتب الخمسة (البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى) أما ابن ماجه فمن درجة الحافظ.

٢ – أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، محمد بن عبد الله المعروف بابن البيِّع المتوفى (٤٠٥هـ) .

٣ – أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى (٣١٠هـ)

تلقى الحديث:

تنوعت صور التَلَقّى أو (التحمّل) حتى بلغت الثمانية ؛ وهى: (١)السماع ، (٢) القراءة ، (٣) الإجازة ، (٤) المناولة ، (٥)المكاتبة، (٦) الإعلام ، (٧) الوصية، (٨) الوجادة. وهذا التدرج فى تصنيفها يخضع لمراتبها فى الضعف والقوة .

وسنحاول أن نعرف كلاً منها موضحين أهم خصائصها :

أولاً – السماع :

وهو أعلى هذه الصور وأرفعها ، وهو أن يسمع المتحمل من لفظ شيخه سواء كان السماع من كتاب يقرؤه الشيخ أم من محفوظاته ، وسواء أملى عليه أم لم يُمل عليه ، وألفاظه المتفق عليها بين علماء الحديث : (حدثنا) و(أخبرنا) و(سمعت) و(قال لنا) و(ذكر لنا فلان)؛ وأكثر العلماء على تقديم لفظ (سمعت).

ثانياً – القراءة:

وهى قراءة التلميذ على الشيخ حفظاً من قلبه أو من كتاب ينظر فيه ، وسمى المحدثون هذه الطريقة (عَرْضاً) . وإذا ما سمع التلميذ غيره يقرأ على شيخه اشترط أن يكون الشيخ حافظاً لهذا المقروء عليه أو متمكناً من مقابلته على أصله

الصحيح ؛ وألفاظها (قرأت على الشيخ وهو يسمع) أو (قرئ على الشيخ وهو يسمع وأنا كذلك أسمع) .

ثالثاً – الإجازة:

وهى إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه؛ ويلاحظ من ذلك أن الإجازة تختلف عن الطريقتين السابقتين : (السماع) و(القـ راءة) لأن كلتيهما تشتمل على الرواية مع الإسناد المتصـ ل إمـ ا مـ ن النطق والشهادة ، وإما من النقل الصـ حيح ، والإجـ ازة لا تشتمل على شيء من هذا .

ولقد جرى الخلاف حول الإجازة بين العلماء حتى عـ دها بعضهم (بدعة) كابن حزم . (لأن الشرع لا يبيح رواية ما لم يسمع) ؛ وتنعقد (الإجازة) بلفظ (أَجَزْتُ) من الشيخ لتلميذه .

رابعاً – المناولة:

وهى أن يعطى الشيخ تلميذه كتاباً أو حديثاً مكتوباً ليقوم بأدائه وروايته عنه . وأعلى صورها المتعددة (المناولة مع الإجازة) كأن يقول الشيخ لتلميذه عند مناولته الكتاب أو الحديث : "قد ملكتك إياه وأجزتك بروايته فخذه منى واروه عنى".

خامساً – المكاتبة:

وهى أن يكتب الشيخ بخطه أو يكلف غيره ليكتب عنه بعض الحديث لتلميذٍ له بين يديه يتلقى عنه أو لشخص غائب

سادساً – الإعلام:

وهو أن يخبر الشيخ تلميذه بأن هذا الكتاب أو هذا الحديث من مروياته أو من سماعه من فلان دون أن يصرح بإجازته له فى أدائه.

سابعاً – الوصية:

وهى تصريح الشيخ عند سفره أو على فراش موته بأنه يوصى (لفلان) بكتاب معين كان يرويه ؛ وهى من الصور النادرة الوقوع وأضعف صور التحمل وأدنى من المناولة والإعلام على ما فيهما من خلاف وتشدد .

ويشترط لها أن يلتزم الموصى له عبارة الموصى فلا يزيد ولا ينقص وأن يكون الموصى به واضحاً ككتاب أو كتب أو حديث أو أحاديث أو مسموعات أو مرويات.

ثامناً – الوجادة:

بكسر الواو ، وهى أخذ العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة ؛ كأن وجد الشخص حديثاً بخط شيخ قد لقيه فألف خطه وعرفه ووثق به ، أولم يَلْقَهُ ولكنه استوثق من نسبته إليه.

وألفاظها أن يقول : (وجدت بخط فلان) أو (بخط يغلب على ظنى أنه خط فلان) أو (فى الصحيح المشهور) ثم يسوق الحديث.

وإذا جاز للعلماء – السابقين – أن يتشددوا فى الصور النازلة من التحمل ، حرصاً على العلم نفسه ، لسبب ضعف

وسائل التدوين والكتابة عندهم ؛ فإن مقتضـ يات العصـ ور
الحديثة ووسائلها تخفف إلى حد بعيد ذلك التشدد .

التصنيف

علم الحديث رواية:

وهو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبى ﷺ قولاً أو فعلاً، أو تقريراً أو صفة حتى الحركات والسكنات فى اليقظة والمنام. ويجعل علماء الشيعة بدل النبى ﷺ كلمة (المعصوم)؛ لوجوب اتباعه وعصمته.

والمراد بالعلم: المسائل التى تشتمل عل ى نق ل أحد وال النبى ﷺ اشتمال الكل على أجزائه.

وموضوعه: أحوال النبى ﷺ من أقواله وأفعاله ، وحكمه الوجوب الكفائى عند التعدد ، والعينى على من انفرد.

والسند: هو الإخبار عن طريق المتن ، وطريق الـ رواة ، وأما المتن فهو ما انتهى إليه السند من الحديث.

علم الحديث دراية:

هو علم يعرف به حال الراوى والمروى من حيث القبول والرد؛ويراد بالعلم القواعد والمسائل.

و(الراوى) هو الذى ينقل الحديث بإسناده سواء كان رجلاً أو امرأة، وأحواله المبحوث عنها من حيث القبول والـ ـرد ؛ ومعرفة حاله فى التحمل والأداء ومـ ـن الجـ ـرح والتعـ ـديل، ومعرفة وطنه وقبيلته ووفاته ونحو ذلك.

و(المروى) أعم من أن يكون مضافاً إلى النبى ﷺ أو إلى غيره ، والمراد بالقبول : قبول من جهة النقل لا مـ ـن جهـ ـة العمل ؛ فقبول الراوى الأخذ بمروِيِّهِ، وقبول المروى اعتقاد ثُبوته.

وواضع هذا العلم أبو محمد عبد الرحمن الرامهُرْمُـ ـزى، المتوفى (٣٦٠هـ ـ). ولما كانت أحوال السند وأحوال المـ ـتن المبحوث عنها فى هذا العلم كثيرة ، أفردت أحـ ـوال الـ ـرواة وحدها ، وسمى العلم الخاص بمعرفتها (علم رجال الحديث)

وكذلك أفردت أحوال المتن والأحوال المشتركة بين المتن والسند ومعرفة الاصطلاحات التى تتصل بالسند مما يقصـ ـد للمتن وسمى العلم الخاص بها (مصطلح الحديث) .

علم رجال الحديث:

هو: "العلم بأحوال رواة الحديث من حيث القبول والرد".

ويختص بمعرفة : تاريخ المواليد والوفيات، والأسماء والكنى والألقاب والأنساب والأوطان والرحلات ، والشيوخ والتلاميذ ، والجرح والتعديل ، والمتفق والمتفرق من الأسماء ، والمؤتلف والمختلف والمتشابه، والثقات والضعفاء ، وأهمها ، الجرح والتعديل.

وموضوع العلم: (الراوى) ؛ من حيث قبوله أو ردّه في الرواية ، وهو أعم من الرجل والمرأة، وإنما سمى بعلم (الرجال) تغليباً؛ لأن الرجال هم الذين عنُوا بالرواية ، بنقلها وحفظها والرحلة من أجلها .

فائدة هذا العلم:

إن معرفة الأسماء والكنى والألقاب، ومعرفة المتفق والمفترق والمؤتلف والمختلف والمتشابه، يعرف بها شخص الراوى، وتعيين ذاته، ويؤمن بها اللَّبْس والخلط بين الرواة بظن الاثنين واحداً ؛ فقد يكون أحدهما ضعيفاً والآخر مُوثَّقاً.

وأما معرفة المواليد والوفيات والأوطان والرحلات والطبقات فيعرف بها الإرسال والانقطاع والتدليس والكذب، كرواية سهيل بن ذكوان بأنه رأى عائشة – رضى الله عنها – بواسط، وأنه روى عنها. فإذا علمنا أن عائشة توفيت سنة (٥٧هـ .)، وأن واسطًا اختطَّها الحجّاج سنة (٨٣هـ .) عَلِمْنا كَذِب هذه الرواية.

ويفيدنا هذا العلم أيضاً بإمكان الحكم بصحة الحديث أو ضعفه إذا لم ينص أحد من المتقدمين على ذلك، إذا علمنا صفات رجاله من كتب الجرح والتعديل.

وقد عدَّل النبى ﷺ وجرّح، فسن لنا بذلك القول فى الناس على سبيل النصيحة. فقد ذُكر له عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، فقال : "إن عبدالله رجل صالح". وهذا تعديل. واستأذن عليه رجل فقال : "ائذنوا له؛ فبئس أخو العشيرة". وهذا تجريح.

فاقتدى به مَنْ بعده مِنَ العلماء فى عصور الرواية، وتقربوا إلى الله بتحصيل الإصابة فيه.

الجرح والتعديل:

الجَرْحْ – بالفتح – مصدر جَرَحَ ، وهو فى اللغة التأثير فى الجسم بالسيف ونحوه ؛ والاسم : (الجُرْحُ) – بالضم – وكثيراً ما يستعمل – بالفتح – فى المعانى . كجرّح فلانٌ فلاناً – سبَّهُ – وجرح الحاكم الشاهد – أسقط عدالته – وهما فى اللغة بمعنى واحد .

وفى الاصطلاح : (رد الحافظ المتقن رواية الراوى لعلة قادحة فيه أو فى روايته) بسبب الفسق أو التدليس أو الكذب أو الشذوذ ونحوها.

والتعديل: التقويم والتزكية والتسوية ، يقال : عدّلَ الحكم أقامه، وعدّل الرجل زكّاه ؛ وعدّل الميزان سوّاه.

واصطلاحاً (وصف الراوى بما يقتضى قبول روايته).

ذكر السبب:

اختلف العلماء فى التعديل والتجريح ، أيقبلان أو أحدهما من غير ذكر السبب ؟ أم لا يقبلان إلا مفسرين بذكر السبب؟

١ – **قال بعضهم:** يقبل التعديل المبهم ، ولا يقبل التجريح إلا مفسراً؛ لأن ذكر أسباب التعديل طول ومشقة ،

ولأن الأصل – العدالة – فى المعدِّل والمعدَّل، ولأن الناس يختلفون فى أسباب الجرح . وهذا مذهب الجمهور الصحيح المعتمد.

٢ – **وقال البعض:** يجب ذكر سبب التعديل فقط، ولا يجب ذكر سبب التجريح؛ لأن أسباب العدالة يكثر فيها التصنع، ولأن التعديل المبهم لا يحصل إلا العدالة الظاهرة، بخلاف التجريح المطلق، فإنه يحصل الجرح ظاهراً وباطناً، ويبطل الثقة من الجروح.

٣ – **وقال آخرون:** يجب ذكر أسبابهما معاً ، لأنه كما يجرح الجارح بما لا يقدح، كذلك قد يوثق المعدل بما لا يقتضى العدالة.

٤ – **وقال آخرون:** لا يجب ذكر سبب واحد منهما ، ويقبلان مطلقين إذا كان الجارح أو المعدل عالماً بأسباب الجرح والتعديل مرضياً فى اعتقاده وأفعاله.

الشروط التى يجب توافرها فى المعدل والمجرح:

يشترط فى المعدل والمجرح ما يشترط فى الراوى وبعض ما يشترط فى الشاهد:

١ – العدالة الشرعية: وتجمع الإسلام والعقل والبلوغ.

٢ – أن يكون عالماً بما يعدل ويجرح من الصفات المعتبرة عند العلماء.

٣ – أن يكون منصفاً لا متعنتاً ولا متشدداً.

٤ – أن لا يكون قريناً منافساً.

٥ – أن لا يكون داعيةً لمذهبٍ متعصباً له.

ثبوت الجرح أو التعديل:

اتفق جمهور العلماء على أن التزكية من اثنين كافية فى التعديل والتجريح ، واختلفوا فى قبول التزكية من الواحد . فمنهم من قبلها وعلى ذلك (الباقِلاّنى) . ومنهم من ردها وعلى ذلك الرازى.

تعارض الجرح والتعديل:

إذا تعارضت أقوال المجرحين والمعدلين فى راوٍ واحدٍ ؛ عدّله بعضهم ، وجرحه البعض الآخر ففى ذلك أقوال ثلاثة:

الأول: وإليه ذهب الجمهور – يقدم الجرح على التعديل مطلقاً – ولو كثر عدد المعدلين.

الثانى: يقدم التعديل فى حالة كثرة المعدلين، لأن الكثرة تقوّى حال المعدلين وتضعف حال المجرحين.

الثالث : يترجح أحدهما على الآخر بمرجح وهو – أى الترجيح – يكون (بكثرة العدد وبشدة الورع وبزيادة العلم وزيادة البصيرة).

علماء لهم حق الجرح والتعديل:

١ – على بن عبد الله المدينى، توفى سنة (٢٣٤هـ). قال فيه البخارى: "ما استصغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى".

٢ – عمرو بن على الفلاّس، توفى سنة (٢٤٩هـ). قال فيه أبو زرعة: "ذاك من فرسان الحديث، لم يـ ـر بالبصـ ـرة أحفظ منه".

٣ – أبو خَيْثَمَة، زهير بن حرب بن شداد. قال فيه ابـ ـن معين: "يكفى قبيلة". توفى (٢٣٤هـ).

٤ – أبو حاتم الرازى، محمد بن إدريـ ـس بـ ـن المنـ ـذر الحنظلى. توفى (٢٧٧هـ). قال فيه الخلال: "أبو حاتم إمـ ـام الحديث". وقال أبو نُعَيْم : "إمام فى الحفظ".

٥ – ابن عدى، أبو أحمد عبد الله بـ ـن عـ ـدى القطـ ـان. المتوفى (٣٢٢هـ). قال السهمى فيه: "كان حافظاً متقناً، لـ ـم يكن فى زمانه أحد مثله".

٦ – الدارقطنى، أبو الحسن على بـ ـن عمـ ـر البغـ ـدادى. المتوفى (٣٨٥هـ). قال الخطيب: "كان فريد عصره وإمـ ـام وقته. انتهى إليه علم الأثر والمعرفة والعلل وأسماء الرجال، مع الثقة والصدق وصحة الاعتقاد".

٧ – الحافظ ابن حجر، أبو الفضـ ـل أحمـ ـد بـ ـن علـ ـى العسقلانى. المتوفى (٨٥٢هـ)، قيل للعراقى لمّـ ـا حضـ ـرته

الوفاة: "من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابنى أبا زرعة، ثم الهيثمى".

مراتب التعديل:

الأولى: كل عبارة دخل فيها أَفْعَلُ التفضيل وما شابهه مما يدل على المبالغة مثل : (حدثنى أَصْدَق من حدثت عنه)، ومثلها (أَوْثَق الناس).

الثانية : الدلالة على درجة الراوى بتكرار لفظٍ دال على العدالة مرتين أو أكثر ، سواء كان اللفظ الثانى هو الأول أو كان بمعناه مثل: (حدثنا عمرو بن دينار وكان ثقة ثقة). وكقولهم: (ثقة مأمون ثبت صاحب حديث).

الثالثة: الدلالة على درجة الراوى بلفظ واحد يشعر بالضبط مثل (ثَبْت، مُتْقِن، حافِظ، حُجّة، ضابط، كأنه مُصْحَف).

الرابعة: الدلالة على درجة الراوى بلفظ لا يشعر بالضبط مثل: (صدوق، مأمون، لا بأس به، خيار الناس).

الخامسة: الدلالة بلفظ لا يشعر بالضبط أيضاً ويقل فى الدلالة على الصدق والأمانة عن المرتبة السابقة مثل: (إلى الصدق ما هو ، رَوَوا عنه ، شيْخ وَسَط ، صالح الحديث ، مُقارِب الحديث).

السادسة: الدلالة على درجة الراوى بِلَفْظ من ألفاظ الدرجة السابقة مقروناً إما بالمشيئة وإما بما يدل على أن الواصف غير متأكد من ثبوت هذه الصفة للراوى مثل : (صدوق إن شاء الله ، أرجو أن لا بأس به ، صُوَيْلح) .

وهذه المراتب الستة فى التعديل من ترتيب ابن حجر العسقلانى ومن بعده.

مراتب التجريح:

الأولى: الوصف بما يدل على المبالغة فى الكذب أو الوضع أو بهما معًا مثل: (أكذب الناس، أوضع الناس، إليه المنتهى فى الوضع ، ركن الكذب، منبع الكذب).

الثانيـة (كذاب ، دجال ، وَضّاع ، يكذب ، يضع ، وضـ ـع حديثاً) وأسهلها آخرها.

الثالثة : وصف الراوى بأحد الوصفين : (الكذب والوضع) ولكن لا على سبيل المبالغة مثل : (مـ ـتهم بالكـ ـذب ، متهم بالوضع، يسرق الحديث، ساقط، هالك، لا يعتبر به، تركوه، متروك الحديث، لـ ـيس بـ ـالقوى، ذاهـ ـب الحديث).

الرابعة: (ضعيف جدًّا، مُطَّرحُ الحديث ، ارم به ، واهٍ بِمَرَّة، ليس بشىء، لا يساوى شيئاً، تالف، لا يساوى فلساً).

الخامسة: (منكر الحديث ، مضطرب الحديث ، لا يحـ ـتج به، واهٍ، ضَعَّفُوه).

السادسة: فيه مقال، ضُعِّف، تعرّف وتنكَّر، فيه خُلْف، ليس بالقوى، ليس يحمدونه، للضعف ما هو، غيره أوثـ ـق منه، ليس بعمدة، ليس بحجة).

شروط الراوى:

اتفق جمهور نقاد الحديث (متأخرين وقدامى) على أن العقل والضبط والعدالة والإسلام شروط لا بد منها لقبول الرواية ، مَنْ فقدها أو بعضها رُدَّت روايته ، وتُرك حديثه.

ومما يلاحظ فى شرط (العقل) شرط البلوغ ضمناً ، لأن فى وسع الصبى أن يتحمل الرواية ولكنه لا يؤديها إلا بعد بلوغه ؛ ولقد كثرت الرواية عن بعض الصحابة ممن سمعوا فى الصغر مثل: أنس بن مالك، وعبدالله بن عباس، وأبو سعيد الخدرى.

أما المراد بالضبط فهو سماع الراوى للرواية كما يجب وفهمه لها فهماً دقيقاً لها حفظاً كاملاً وثباته على هذا كله من وقت السماع إلى وقت الأداء.

وعَرَّف الخطيب البغدادى (العَدْل) بأنه (من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقِّى ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحرى الحق والواجب فى أفعاله ومعاملته، والتوقى فى لفظه مما يثلم الدين والمروءة فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل فى دينه ومعروف بالصدق فى حديثه).

وأما شرط الإسلام[1] (فهو واضح فى نفسه ، كما أن الغاية من اشتراطه واضحة ، فالراوى يؤدى أحاديث وأخباراً وآثاراً تتعلق بهذا الدين وبأحكامه وحكمه وتشريعاته، فالأحوط أن يقوم بهذا الشأن من كان مؤمناً بهذه العقيدة التى يتحمل مسؤولية تفهيمها للناس).

طبقات الرواة:

الطبقة فى اللغة: القوم المتشابهون. وفى الاصطلاح: القوم المتشابهون فى الأسنان ولقاء المشايخ. وقد يقع للرجل أن يكون من طبقة ومن طبقتين؛ إذا اشترك مع جماعة فى أمر واشترك مع آخرين فى أمر آخر؛ وكذلك يمكن أن تقسم الجماعة إلى جماعات كل جماعة يجتمع أفرادها فى صف واحد مثل طبقة الصحابة تجتمع فيها طبقات متعددة بالنسبة إلى الهجرة، والسوابق الإسلامية، وشهود المشاهد. فيعدّ أبو بكر – رضى الله عنه – من طبقة الصحابة، ومن طبقة السابقين، ومن طبقة المبشرين بالجنة، ومن طبقة المهاجرين.

---

(١) يرجع إلى كتاب علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح.

ولقد قسَّم ابن حجر العسقلانى جميع الرواة من عصر الصحابة إلى آخر عصر الرواية إلى اثنتى عشرة طبقة وتبعه على ذلك من جاء بعده.

الأول: الصحابة على اختلاف مراتبهم .

الثانية: طبقة كبار التابعين كابن المسيب.

الثالثة: الطبقة الوسطى من التابعين كالحسن وابن سيرين.

الرابعة: طبقة أخرى تلى الوسطى جُلّ مروياتهم عن كبار التابعين كالزهرى وقتادة.

الخامسة: الطبقة الصغرى من التابعين الذين لم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة كالأعمش.

السادسة: طبقة حضروا مع الخامسة ولم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة كابن جُرَيْج.

السابعة: طبقة كبار تَبَع التابعين كمالك والثورى.

الثامنة: الوسطى من تبع التابعين كابن عُيينة وابن عُلَيّة.

التاسعة: الطبقة الصغرى من تبع التابعين كأبى داود الطيالسى والشافعى.

العاشرة: كبار الآخذين عن تبع الأتباع ممن لم يلق التابعين كأحمد ابن حنبل.

الحادية عشرة: الطبقة الوسطى منهم كالذهلى والبخارى.

الثانية عشرة: صغار الآخذين عن تبع التابعين (كالتِّرمذى).

ولمعرفة الطبقات فوائد جُلّى مِنْها:

١ – الأمن من تداخل المشتبهَيْن باتفاقهما فى الاسم والكنية.

٢ – والوقوف على التدليس.

٣ – والاطلاع على حقيقة العنعنة ، هل هى سماع أو إرسال.

٤ – معرفة المرسل والمنقطع.

والصحابى هو من لقى النبى ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. والتابعى وهو من لقى صحابياً مؤمناً بالنبى ﷺ ومات على الإسلام. وتابع التابعى هو من لقى التابعى مؤمناً بالنبى ﷺ ومات على الإسلام.

الكتب المؤلفة فى الرواية ومراتبها:

وتنقسم الكتب المؤلفة فى الرواية إلى قسمين:

١ – فهى إما كتب فى فنون الحديث.

٢ – وإما كتب فى أنواعه .

وتنقسم كتب فنون الحديث بدورها إلى ثمانية أقسام :

١ – العقائد: وتسمى (علم التوحيد)، وفيها كتاب التوحيد لابن خزيمة.

٢ – الأحكام: وتسمى (السُّنَن)، وفيها كتاب السنن السِّتَّة.

٣ – الرِّقاق : علم السلوك والزهد، وفيها كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

٤ – آداب الأكل والشرب: وتسمى بـ (علم الأدب)، وفيها (الأدب المفرد) للإمام البخارى.

٥ – التفسير والتاريخ والسِّيَر: وتسمى (بعلم التفسير) وعلم (بدء الخلق). أما قسم السير، فهو ما كان متعلقاً بحياة النبى ﷺ. وفيها كتب ابن مردويه وابن جرير والدُّر المنثور للسيوطى؛ وكتاب العظمة لأبى الشيخ، وسيرة ابن إسحق ومغازى موسى بن عقبة والواقدى.

٦ – السفر والقيام والقعود: وتسمى (الشمائل)؛ وفيها كتاب الشمائل للترمذى.

٧ – الفتن : وفيها كتاب الفتن لنُعَيْم بن حماد.

٨ – المناقب والمثالب: وفيها كتاب مناقب قريش ومناقب الأنصار، ومناقب العشرة المبشرين بالجنة. وجميعها لِلْمحِبّ الطبرى؛ ويسمى الكتاب الذى يجمع أنموذجاً لكل فن من هذه الفنون الثمانية (بالجامع) كجامع البخارى.

وأما كتب أنواع الحديث فهى:

١ – **الجوامع**: جامع البخارى، وجامع الترمذى؛ (وليس صحيح مسلم معها ، لِخُلُوِّه من فن التفسير والقراءة).

٢ – **المسانيد** : مُسند بقَىّ بن مخلد، مسند أبى داود الطيالسى،مسند ابن راهَوَيْه.

٣ – **المعاجم** : معجم الطبرانى الكبير والمتوسط والصغير.

٤ – **الأجزاء** : جزء أبى بكر، وجزء فى قيام الليل لِلْمَروَزِى،وجزء فى صلاة الوتر للمروزى أيضاً، وجزء فى صلاة الضُّحى للسيوطى.

٥ – **المستخرجات:** مستخرج الإسماعيلى على البخارى، ومستخرج أبى عُوانة على مسلم، ومستخرج أبى على

الطوسى على الترمذى، ومستخرج محمد بن عبد الملك بن أيمن على سنن أبى داود.

٦ – **المستدركات:** مستدرك الحاكم على الصحيحين (البخارى ومسلم) ولَخَّصَهُ الذَّهبى.

٧ – **الْعِلَل:** العلل لِمُسْلِمٍ، ولأبى يحيى زكريا الساجى، ولأبى على الزَّجّاجى حسن بن محمد ، والعلل المتناهية لابْن الجوزى وغيرهم.

٨ – **الأطراف:** (الإشراف على معرفة الأطراف) لابن عساكر، (تحفة الأشراف لمعرفة الأطراف) لِلْمِزّى، (أطراف الكتب الستة) لمحمد ابن طاهر المقدسى.

٩ – **كُتُب الأحكام:** (المنتقى) لابن الجارود، و(الأحكام الكبرى) لأبى محمد عبد الحق الأشبيلى، و(الأحكام الكبرى) لمحب الدين الطبرى، و(عمدة الأحكام) لعبد الغنى المقدسى، و(إحكام الأحكام) لابن دقيق العيد ، و(بلوغ المرام من أدلة الأحكام) لابن حجر.

١٠ – **كتب الصحاح** : وهى الكتب الستة المشهورة (للبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن

ماجه) . وسميت بالصحاح على سبيل التغليـ ب ولكـ ل منها ميزة خاصة ، فالبخارى لمن يريد التفقه، وأبو داود لمن يريد حصر أحاديث الأحكام واستيعابها، والترمذى للعلم بفنون الصناعة الحديثية ، وابن ماجه لقوة التبويب فى الفقه، أما النسائى فقد جمع أكثر هذه المسالك.

وهناك كتب صحاح غير هذه، منها: صحيح ابن خزيمة، أبى بكر محمد بن إسحق المتوفى (٣١١هـ .)، وصحيح ابن حبان، محمد بن حِبّان البسْتى المتوفى (٣٥٤هـ . .)، وصحيح أبى عُوانة، يعقوب بن إسماعيل الإسْـ فراايينى المتوفى (٣١٦هـ . .)، والصِّـ حاح المختـ ـارة للضـ ياء المقدسى، محمد ابن عبـ ـد الواحـ ـد المقدسـ ـى الحنبلـ ـى المتوفى (٦٣٤هـ .).

١١ – كتب الضعيف: كتب العُقيلى، وابـ ـن عـ ـدى، وكتـ ـب الخطيب البغدادى، وابن عساكر، والحكـ ـيم الترمـ ـذى، ومسند الديلمى، وتاريخ الحاكم ، وابن النجار.

أقسام الحديث

أنواع الحديث

قسَّم معظم العلماء الحديث والإسناد ثلاثة أقسام رئيسة:

١ – صحيح.   ٢ – حسن.   ٣ – ضعيف.

وحجتهم فى ذلك أن الحديث إما مقبول فيؤخذ به، وإما مردود فيترك.

والمقبول:

١ – إما أن يشتمل من صفات القبول أعلاها فهو الصحيح.

٢ – وإما أن يشتمل من صفات القبول أدناها فهو الحسن.

٣ – والمردود هو الضعيف.

ثم أدرجوا تحت كلٍّ أنواعًا بحسب مراتب القوة والضعف.

ثم قسم علماء المصطلح الحديثَ باعتبار:

١ – أحوال الرواة وصفاتهم.

٢ – وأحوال المتون وصفاتها . أنواعاً كثيرة، أوصلها بعضهم إلى المائة، وعدها النووى خمسة وستين. ولما كان البعض منها لا يحسن عده نوعاً ، بالإضافة إلى ترك علماء

الفن لكثير من هذه الأنواع، رأيت أن أذكر الأنواع الشائعة الاستعمال، وتنحصر فى خمسة وثلاثين:

الأول: الصحيح ، وهو قسمان : صحيح لذاته ، وصحيح لغيره ، أما الصحيح لذاته فهو: ما اتصل إسناده بنقل العدل الضابط ضبطاً تامًّا عن غيره إلى منتهى السند من غير شذوذ ولا علة قادحة، وأما الصحيح لغيره فهو: المشهور رواته بالعدالة والضبط ، إلا أنه أقل فى ذلك من الصحيح لذاته .

الثانى: الحسن. وهو أيضاً قسمان:

١ – **حسن لذاته:** وهو ما اتصل إسناده برواية العدل الضابط ضبطاً غير تام عن مثله إلى منتهى السند مع الشهرة التى لم تصل إلى شهرة الصحيح من غير شذوذ ولا علة.

٢ – **حسن لغيره:** وهو ما لا يخلو إسناده من مستور أو سيئ الحفظ أو نحو ذلك بشرط ألا يكون مغفلاً ولا كثير الخطأ ولا ظهر من مفسق .

الثالث : الضعيف ؛ وهو ما فقد شرطاً أو أكثر من شروط الصحة والحسن ، وينقسم بهذا الاعتبار أقساماً كثيرة ، وتتفاوت مراتبه فى الضعف بحسب ضعف رواته وخفته إسناداً ومتناً.

الرابع : المسند ، وهو ما اتصل إسناده (ظاهراً) إلى منتهاه ، فيشمل المرفوع والموقوف وغيره ، وقد قيل ظاهراً ليشمل ما فيه انقطاع خفىّ (كعنعنة المدلّس) : وهو الذى يخفى فى ثنايا كلامه خلاف ما يظهر منه.

الخامس : المتصل ، ويسمى الموصول ، وهو ما اتصل إسناده إلى منتهاه لسماع كل واحد ممن فوقه مرفوعاً كان أو موقوفاً ، والاتصال بالعنعنة كالاتصال بالسماع إذا لم يكن الراوى مدلساً وأمكن اللقى (على شرط مسلم) أو ثبت على (شرط البخارى) أو طالت الصحبة (على شرط غيرهما).

السادس: وهو ما أضيف إلى النبى ﷺ (خاصة) قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو وصفاً، ومنه قول الصحابة: كنا نفعل أو

نقول كذا فى حياة رسول الله ﷺ، أو وهو فينا أو وهو بين أظهرنا ، أو كنا لا نرى بأساً بكذا فى حياة رسول الله ﷺ.

السابع: الموقوف؛ وهو المروى عن الصحابة قولاً أو فعلاً، أو تقريراً متصلاً، أو منقطعاً.

الثامن: المقطوع، وهو الموقوف على التابعى قولاً أو فعلاً.

التاسع : المرسَل ، وهو ما سقط منه الصحابى سواء أكان الرواى المرسل تابعياً كبيراً أم صغيراً ، وهذا النوع ضعيف عند الإمام الشافعى، صحيح عند أبى حنيفة ومالك.

العاشر: المنقطع، وهو ما سقط من رواته راوٍ واحد قبل الصحابى فى الموضع الواحد .

الحادى عشر: المُعْضَل ، وهو ما سقط منه اثنان أو أكثر قبل الصحابى بشرط التوالى.

الثانى عشر: المُعلَّق ، وهو ما سقط منه راوٍ أو أكثر على التوالى من أول السَّند، وحكمه أنه صحيح إذا وقع فى كتابٍ التُزِمَت صحته.

الثالث عشر: المُدلَّس، وهو قسمان:

١ – مدلَّس الإسناد.   ٢ – مدلّس الشيوخ.

أما مدلَّس الإسناد فهو ما رواه الراوى عمن لقيه ولم يسمع منه متوهماً أنه سمع منه، أو سمع منه ولكنه يروى ما لم يسمع ، وحكمه الكراهة الشديدة.

وأما مدلس الشيوخ فهو ما سمى الراوى فيه شيخه أو كَنّاهُ أو وصفه بما لا يعرف به ، وحكمه الكراهة إلا أنه أخف من الأول .

الرابع عشر: الشاذ ، وهو ما رواه الثقة مخالفاً لمن هو أرجح منه.

الخامس عشر: المنكر، ويجتمع مع الشاذ فى المخالفة ، وينفرد برواية الضعيف.

السادس عشر: المحفوظ ، وهو ما رواه الأرجح عمن خالفه من الثقة، فهو مقابل للشاذ.

السابع عشر : المعروف ، وهو ما رواه الأرجح المخالف لرواية الضعيف ، فهو مقابل للمنكر.

الثامن عشر : المتابع ، وهو الذى قد تابع رواية غيره فى الرواية عن شيخه ، أو شيخ شيخه إلى منتهى السند. والمتابعة **قسمان:**

١ – المتابعة عن شيخ الراوى وتسمى متابعة كاملة.

٢ – المتابعة عمن فوقه وتسمى متابعة ناقصة.

التاسع عشر: الشاهد ، والفرق بينه وبين المتابع ، أن المتابعة: ما حصلت باللفظ، والشاهد: ما حصل بالمعنى.

ومثاله حديث روى عن طريقين، طريق قوى وطريق ضعيف، فإذا كان الضعيف موافقاً باللفظ يقال له متابع، وإذا كان مخالفاً للفظ موافقاً بالمعنى فشاهد.

العشرون: المتروك ، وهو ما انفرد به راوٍ اتهم بالكذب مع مخالفة القواعد المعلومة ، أو كان كثير الغلط أو الفسق أو الغفلة .

الحادى والعشرون : المُعَلَّل ، وهو الذى ظاهره الصحة ، ثم اطَّلع فيه على علة قادحة بوصل مرسل أو منقطع أو موقوف ؛ أو بإدخال حديث فى حديث أو نحو ذلك من الأشياء القادحة .

وهو قسمان:

١ – واقع فى الإسناد.

٢ – واقع فى المتن.

وما وقع فى الإسناد قد يقدح فى الإسناد والمتن كالإرسال والوقف، وقد يقدح فى الإسناد خاصة ويكون المتن صحيحاً ، كحديث: "البيِّعان بالخيار". رواه يعلى بن عبيد ع ن سـ فيان الثورى عن عمرو بن دينار. وقد غلط يعلى فى قولـ ـه ع ن عمرو بن دينار، إنما هو عبد الله بن دينار، وكلاهما ثقة .

وأما ما وقع فى المتن كإدخال حديث فى حديث يقدح فى المتن والإسناد معاً.

الثانى والعشرون: المضطرب، وهو الذى رُوى علـ ـى أوجه مختلفة متفاوتة من غير تـ ـرجيح لاحـ ـدى الطـ ـرق ، ويكون الإضطراب فى الإسناد وفى المتن وفيهما مـ ـن راوٍ واحد أو أكثر .

الثالث والعشرون: الْمُدْرَج ، وهو إما مـ ـدرج المـ ـتن كذكر الراوى كلاماً لنفسه أو لغيره فى أول الحديث أو فـ ـى وسطه أو فى آخره. أو مدرج الإسناد، وهو أن يكون عنـ ـد الراوى متنان بإسنادين مختلفـ ـين فيرويهمـ ـا عـ ـن الـ ـراوى

بأحدهما، أو يروى عنه الراوى أحـ د الحـ ديثين المختلف ين بإسناده الخاص به، ويزيد فيه من المتن الآخر ما ليس بذلك الإسناد ، أو يكون عنده المتن بإسناد إلا طَرَفاً ، فإنه عنـ ده بإسنادٍ آخر فيرويه تاماً بالإسناد الأول، فهـ و ثلاثـ ـة أقسـ ـام أيضاً.

الرابع والعشرون: المقلوب، وهو المشهور عنـ د راوٍ فيجعل مكانه آخر فى طبقته، أو يؤخذ إسناد متن فيجعل لمتن آخر وبالعكس. كما امتحن أهل بغداد الإمام البخارى إذ قلبوا له مائة حديث فردها كلها على وجههـ ـا فـ ـاعترفوا بفضـ ـله وعلمه.

الخامس والعشرون: المشهور، وهو ما رواه أكثر من اثنين ومنه المتواتر وهو ما نقله جمع عـ ـن جمـ ـع يسـ تحيل تواطؤهم على الكذب، وهو قسمان: متواتر لفظـ ـاً كحـ ديث مَسْح الخفين ، ومتواتر معنى كأن يتفق الناقلون على أمر فى وقائع مختلفة كشجاعة على رضى الله عنه.

السادس والعشرون: الغريب، وهو ما انفرد بـ ـه راوٍ عمن يجمع حديثه، وهو قسمان: غريب متناً وإسناداً، وغريب

إسناداً لا متناً ولا يوجد غريب متناً لا إسناداً. والأول ما انفرد به راوٍ واحد، والثانى: ما روى متنه جماعة من الصحابة وانفرد واحد بروايته عن صحابى آخر.

السابع والعشرون: غريب الحديث، وهو ما وقع فيه لفظ غامض بعيد عن الفهم لقلة استعماله.

الثامن والعشرون: العزيز، وهو ما رواه اثنان عن اثنين ولو فى مرتبة واحدة.

التاسع والعشرون: المسلسل ، وهو ما تتابع إسناده على حالةٍ أو صفة واحدة فى الرواية، وأفضله ما دل على اتصال السند وعدم التدليس ، ومن فوائده زيادة الضبط ، وقلّما تسلم المسلسلات من خلل التسلسل ، فقد ينقطع التسلسل فى الوسط أو الأول أو الآخر .

الثلاثون: المدبَّج، وهو أن يروى القرينان كل عن صاحبه، كعائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما ، ومالك والأوزاعى رضى الله عنهما.

الحادى والثلاثـون : المؤتلف والمختلف ، وهو أن تتفق أسماء الرواة أو ألقابهم أو نحوها فى الخط دون اللفظ ، فمن لا يَعْرِف يكثر خطؤه.

الثانى والثلاثـون : المتفق والمفترق ، وهو ما اتفق فيه أسماء الرواة أو أنسابهم أو ألقابهم أو نحوها لفظاً وخطاً مع اختلاف المسميات – ومعرفته مهمة – خشية أن يُظن الشخصان شخصاً واحداً.

الثالث والثلاثـون: المتشابه ، وهو مركب من النوعين قبله .

الرابع والثلاثـون : المشتبه المقلوب ، وهو أن يقع الاشتباه فيه ذهناً لا خطاً ، والمراد بذلك الرواة المتشابهون فى الاسم والنسب المتمايزون بالتقديم والتأخير .

الخامس والثلاثون: العالى والنازل ، وأقسام العلو خمسة :

أولها: القرب من رسول الله ﷺ.

ثانيها: القرب من إمام من أئمة الحديث، كالأوزاعى ومالك.

ثالثها: العلو بالنسبة لرواية أحد الكتب الستة ونحوها من الكتب المعتمدة.

رابعها: العلو بتقدم وفاة الراوى عن شيخ على وفاة راوٍ آخر عن ذلك الشيخ وإن تساويا فى العدد.

خامسها: العلو بتقديم السماع من الشيخ عن سماع راوٍ آخر عن ذلك الشيخ.

وأقسام النزول خمسة: تعرف من ضدها، فكل قسم من أقسام العلو يقابله قسم من أقسام النزول. والعالى أفضل إلا إذا تميز النازل بفائدة،كزيادة الثقة فى رواية على العالى.

الموضوع

إنى أعجب كل العجب لأئمة علماء يعـ دون الموضـ وع حديثاً ضعيفاًمتعللين بالتسامح، وهـ و المختلـ ق المصـ نوع المُحرّم . قال رسول الله ﷺ:"من كَذَبَ علىَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَ وّأْ مقعده مِنَ النار". ولقد كان الأولى لهم أن يتحروا الدقة فـ ى تصنيفهم لأنواع الحديث، فينفوا (الموضوع) نفياً قاطعاً حتى عن الضعيف.

قال المحدث الجليل محمد ناصر الدين الألبانى فى كتابه: (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السـ يئ فـ ى الأمة)[1]: من المصائب العظمى التى نزلت بالمسلمين منـ ذ العصور الأولى انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم ، لا أستثنى أحداً منهم ولو كانوا علماءهم، إلا من شـ اء الله مـ نهم مـ ن أئمـ ة الحـ ديث ونقـ ادهم كالبخـ ارى وأحمد وابن معين وأبى حاتم الرازى وغيـ رهم ، وقـ د أدى انتشارها إلى مفاسد كثيرة ، منهـ ا مـ ا هـ و مـ ن الأمـ ور

---

(١) ص ١٠ من الكتاب المشار إليه.

الاعتقادية الغيبية ، ومنها ما هو من الأمور التشريعية... وقد اقتضت حكمة العليم الحكيم سبحانه وتعالى أن لا يدع هذه الأحاديث التى اختلقها المغرضون لغايات شتى تسرى بين المسلمين دون أن يقيض لها من يكشف القناع عن حقيقتها ويبين للناس أمرها، أولئك هم أئمة الحديث الشريف وحاملو ألوية السنة النبوية الذين دعا لهم رسول الله ﷺ بقوله: "نضّر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها وحفظها وبلّغها، فَرُبَّ حامل فقه إلى من هُوَ أفقه منه". فقد قام هؤلاء الأئمة جزاهم الله عن المسلمين خيراً ببيان حال أكثر الأحاديث من صحة أو ضعف أو وضع ، وأصّلوا أصولاً متينة، وقعَّدوا قواعد رصينة ، من أتقنها وتضلع بمعرفتها أمكنه أن يعلم درجة أى حديث ولو لم ينصّوا عليه، وذلك هو علم أصول الحديث.ا.هـ .

وقال ابن الجوزى: "لما لم يمكن أحداً أن يدخل فى القرآن ما ليس منه، أخذ أقوام يزيدون فى حديث رسول الله ﷺ ، ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله علماء يذّبون عن النقل، ويوضحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يخلى الله منهم

عصراً من الأعصار، غير أن هذا الضرب قد قل فى هـذا الزمان فصار أعز من عنقاء مغرب:

وقـد كـانوا إذا عـدوا قلـيلاً
فقد صاروا أعز مـن القليـل

إن أشهر القواعد التى اعتمدها الجهابذة من العلماء فى الذب عن دين الله وكشف الحقائق وتنقية الحديث من الشوائب خمسة قواعد:

الأولى : إقرار الواضـع نفسـه ، واعترافـه بوضـع الأحاديث سواءً ذكر الدافع الذى دفعه إلى ذلـك أو أغفلـه ، ومن هؤلاء المقرين نوح بن أبى مريم الملقب بنوح الجامع، الذى أقرّ بوضعه على ابن عبـاس – رضـى الله عنـه – أحاديث فى فضائل القرآن سورة سورة ؛ ومنهم عمـر بـن صبح بن عمران التيمى الذى أقرّ بوضع خطبـة للنبـى ﷺ،

وميسرة بن عبد ربه الفارسى الذى أقر بوضع سبعين حديثاً فى فضل الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه[١].

الثانية : اللحن أو الركاكة فى المتن، إذ إن ظهور ذلك دليل على الوضع؛ لأن النبىﷺ أفصح من نطق بالضاد؛ والركاكة فى المعنى يعتمدها نقاد الحديث قبل الركاكة فى اللفظ، لأن ضعف المعنى أو فساده أو اضطرابه دليل بيِّن على الوضع. ولقد قال ابن حجر العسقلانى: "المدار فى الركة على ركة المعنى، فحيثما وجدت دلت على الوضع وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ، لأن هذا الدين كله محاسن، والركة ترجع إلى الرداءة، أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغيّر ألفاظه بغير فصيح. نعم، إن صرح بأنه لفظ النبى ﷺ فكاذب".

الثالثة:

١ – أن يكون المروى مخالفاً للعقل.

٢ – أو الحس.

---

(١) التدريب (تدريب الراوى) شرح تقريب النواوى، للسيوطى.

٣ –أو المشاهدة، غير قابل للتأويل – أى حمله على معنى يرتضيه العقل – مثل ذلك قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "إن سفينة نوح طافت بالبيت وصلَّت خلف المقام ركعتين". وهو أى عبد الرحمن مشهور بكذبه وافترائه، ولقد نُقل عن الإمام الشافعى رضى الله عنه: "ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح ....." وذلك من قبيل الإنكار والسخرية.

الرابعة: وهى أن يتضمن القول المروى وعيداً شديداً على أمرٍ صغير، أو وعداً عظيماً على أمر حقير، كالخلود فى جنات تجرى من تحتها الأنهار بصحبة آلاف من الحور العين على إتيان مندوب أو ترك مكروه ، أو الخلود فى جهنم مع مقت الله وغضبه الشديد لترك مندوب أو فعل مكروه. وهذا مما يتنافى كليةً مع القواعد الشرعية العامة.

الخامسة: أن يكون الراوية– واضع القول – مشهوراً بالكذب؛ ضعيف الدين لا يتورع عن اختلاق الكلام أو السند انتصاراً لهواه أو لحاجةٍ فى نفسه، كقول مأمون بن أحمد الهروى عندما قيل له: ألا ترى إلى الشافعى؟ – قال : "حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن معدان الأزدى عن أنس:

مرفوعاً – أى إلى النبى ﷺ – يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس – الشافعى رضى الله عنه – أضر على أمتى من إبليس، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتى".

فمأمون هذا دفعه هواه الأعمى وتعصبه الممقوت لأبى حنيفة – رضى الله عنه – أن يفرغ حقده على الإمام الشافعى – رضى الله عنه – فى قالبٍ نَسَبَهُ زوراً وكذباً وبهتاناً إلى النبى ﷺ.

ظهور الوضع وأسبابه:

بدأ ظهور الوضع فى سنة إحدى وأربعين للهجرة، فى عهد الخليفة الرابع الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

١ – لأن الخلاف السياسى بدأ يذر قرنه فى تلك الفترة، فانقسم المسلمون أحزاباً تصطرع وتتقاتل. وكان من جراء ذلك الإكثار من وضع الأخبار واختلاق الكلام ونسبته إلى رسول الله ﷺ؛ لأن كل طرف يحاول أن يدعم موقفه ويؤيد حقه. قال عبد الله بن يزيد المقرئ: "إن رجلاً من أهل البدع

رجع عن بدعته، فجعل يقول: انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه، فإنا كنا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً.

٢ – ولقد كان الخلاف الفقهى بين أصحاب المذاهب سبباً من أسباب الوضع، فإن بعض أصحاب الأهواء من الفقهاء من الذين أعماهم تعصبهم لمذاهبهم وانتصارهم المشحون بالحقد – لم يتورع أن ينسب إلى رسول الله ﷺ أقوالاً تؤيد ما ذهبوا إليه من الرأى والاستنتاج. قال أبو العباس القرطبى، صاحب كتاب (المفهم فى شرح صحيح مسلم): "استجاز بعض فقهاء أهل الرأى نسبة الحكم الذى دل عليه القياس الجلى إلى رسول الله ﷺ، كذا !! ولهذا ترى كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها بأنها تشبه فتاوى الفقهاء، ولأنهم لا يقيمون لها سنداً".

٣ – ولئن كان الخلاف السياسى والفقهى سبباً من أسباب الوضع وطريقاً من طرق الكسب الأدبى والمعنوى فهناك ما هو أدهى؛ فقد سَفَلَتْ بعض النفوس وانحطت حتى استجازت الكذب على رسول الله ﷺ من أجل الكسب المادى الرخيص؛ أو تقرباً من الحكام، وحظوة عند أصحاب السلطان.

دخل غياث بن إبراهيم النخعى الكوفى على الخليفة العباسى المهدى – وكان يحب الحمَام ويلعب به – فإذا قُدّامه حمام، فقيل له: حدِّثْ أمير المؤمنين، فقال: حدثنا فلان عن فلان أن النبى ﷺ قال: "لا سَبْق إلا فى نَعْلٍ أَوْ خُفٍّ أَوْ حافِرٍ أَوْ جناح" . فأمر له المهدى ببدرة[١]، فلما قام قال المهدى: أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ. ثم قال: أنا حملته على ذلك، ثم أمر بذبح الحمام، ورفض ما كان فيه.

٤ – وكان الادّعاء الفارغ سبباً أضاف به أصحابه الجهّال دفعةً جديدة من البهتان والزور إلى حديث رسول الله ﷺ. ولقد كان واحدهم يصرّ بصفاقة غريبة ووقاحة لا حد لها على صحة نسبة القول؛ إيهاماً للعامة، وتضليلا للمؤمنين، وإفساداً فى دين الله.

روى ابن الجوزى بإسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى، قال: "صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة[١]، فقام بين أيديهم قاصٌّ، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر

---

(١) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف (اللسان).

(١) الرصافة : أحد أحياء بغداد.

عن قتادة عن أنس قال: قال رسول اللهﷺ: من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب، وريشه من مرجان! وأخذ فى قصته نحواً من عشرين ورقة! فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد، فقال له: حدَّثْتَهُ بهذا؟؟ فيقول: والله ما سمعت هذا إلا الساعة. فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات، ثم قعد ينتظر بقيتها قال له يحيى بن معين – بيده –: تعال. فجاء متوهماً لنوالٍ. فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله ﷺ. فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بم معين أحمق، ما تحققت هذا إلا الساعة! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين! فوضع أحمد كُمَّه على وجهه، وقال: دَعْه يقم. فقام كالمستهزئ بهما".

وحسبنا من القصة إيرادها دون التعليق عليها.

٥ – وإن من أخطر الوضع ما اشتهر أصحابه بالزهد والتقوى؛ زاعمين أنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى، فأكثروا

من الأقوال فى الترغيب تارة، والترهيب تارة أخرى. ولقد شوَّهوا بجهلهم وجه الإسلام، وأدخلوا فى تعاليمه ما ليس منه.

٦ – وبالمقابل لهؤلاء الزهاد الذين أضروا من حيث لا يريدون، جهلاً وغباءً – وُجد الزنادقة الذين كان همهم الضرر المبيَّت والإفساد المصمم الذى ظاهره الرحمة وباطنه العذاب؛ حقداً على الإسلام، وكرهاً بالمسلمين. قال ابن حماد عنهم إنهم: "وضعوا أربعة عشر ألف حديث". أما عبد الكريم بن أبى العوجاء – خال معن بن زائدة الشيبانى – فقد وضع وحده – باعترافه – أربعة آلاف حديث. فإنه لما أُخذ لتُضرب عنقه فى خلافة المهدى صاح قائلاً: "لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرّم فيها الحلال وأحلّل الحرام"[١].

وبعد! فهل عُمّى على العلماء المخلصين الجهابذة -كما سماهم الإمام عبد الله بن المبارك – كل ذلك؟ أم أنهم شمروا عن ساعد الجد، ومضوا يدققون ويبحثون ويمحصون ويفرقون بين الحق والباطل؟

---

(١) يرجع إلى التدريب.

إن فى أعناقنا دَيْناً عظيماً لهم، ولهم أجرهم عند ربهم بما كسبت أيديهم من حسن العمل وبذل الجهد واستنفاد الطاقات.

لقد عرَّفونا فى مصنفاتهم بأس باب الوض ع، وجرَّح وا الوضَّاعين، وكشفوا معايبهم. وأشهر تلك المصنفات كت اب (الموضوعات) لأبى الفرج عب د ال رحمن ب ن الج وزى، المتوفى (٥٩٧هـ .)، معتمداً فيه عل ى كت اب (الأباطي ل) للجوزقانى، على ما فيهما من شدة بالغة.

ولقد اضطلع بعبء ذلك أيضاً المحدث الجلي ل، الأس تاذ محمد ناصر الدين الألبانى فى كتابه القيّم (سلسلة الأحادي ث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ فى الأم ة). ج زاه الله خيراً ووفَّقه.

مكانة الحديث

فى التشريع:

مما لا يختلف فيه اثنان أن السنة مفتاح الكتاب والنبراس الذى يهتدى به إلى كشف حقائقه، والوقوف على دقائقه، فإن القرآن ينبوع الشريعة، حوى علم كل شىء حسبما دل عليه قول الله تعالى: ﴿ما فرَّطْنَا فى الكتَاب مِن شَىءٍ﴾[١]، ﴿ونزَّلنا عليكَ الكتابَ تِبْيَانًا لكلِّ شَىْء﴾[٢]، ﴿اليومَ أكملتُ لَكم دينَكُم وأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى ورَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِينًا﴾[٣].

ومنصب الرسالة منصب التبليغ عن الله تعالى والبيان لأوامره ونواهيه. قال تعالى: ﴿يا أيها الرسولُ بلِّغ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّك وإن لم تَفعلْ فما بلغتَ رسالتَه﴾[٤]، ﴿وأنزلنا إليكَ الذكرَ لتبيِّنَ للناسِ ما أنزلَ إلَيْهم﴾[٥]. فمن ثم كانت السنة واجبة الاتباع.

---

(١) الأنعام (٣٨).

(٢) النحل (٨٩).

(٣) المائدة (٣).

(٤) المائدة (٦٧).

(٥) النحل (٤٤).

ونحن إذ نستمسك بالسنة ونعمل بها إنما نعمل بكتاب الله.

قيل لمطرّف بن عبد الله: لا تحدثونا إلا بالقرآن. فقال: والله لا نبغى بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من أعلم منا بالقرآن.

وروى الأوزاعى عن حسان بن عطية قال: "كان الوحى ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسُّنة التى تفسر ذلك، فلم يكن للنبى ﷺ فيما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، إلا مصدراً عن الوحى ﴿وما ينطقُ عن الهوَى. إنْ هُو إلا وَحْىٌ يُوحَى﴾[٦].

وإننا لنسمع بين آونة وأخرى قولاً عجباً من أناس يستخفون بالسنة المطهرة، ويدعون الناس إلى طرحها؛ فضلُّوا هم، وأضلوا نفراً ممن تبعهم، وحجتهم أن فى الكتاب تبياناً لكل شىء. وظنوا خطأً أن نظرهم المجرد يكفيهم فى الوصول إلى مقاصده. وهذا هو ما أوقع الرافضة والجهمية والخوارج فى مخالفة أهل الإجماع. فالروافض ردُّوا حديث رسول الله ﷺ القائل: "نحن – معاشرَ الأنبياء – لا نورَثُ، ما تركناه صدقة" بعموم قول الله تعالى ﴿يوصيكم الله فى

---

(٦) النجم (٤ – ٥).

أولادكم﴾[1]. ورد الجهمية أحاديث الصفات بآية ﴿ليس كمثله شيء﴾[2]، وردت الخوارج أحاديث الشفاعة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يـ وم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾[3]، وكذلك ردوا الأحاديث الدالة على خروج أهل الكبائر من النار بما فهموا من آيات الوعيد فى القرآن.

وقد تحدثت النبوة عن ذلك بما أوتيت من العلـ م، ونعـ ى النبى ﷺ على من ردَّ سنة صحيحة. فقد روى عنـ ـه ﷺ أنـ ـه قال: "يُوشِكُ رَجُل مِنْكُم مُتَّكِئاً على على أريكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَديثٍ عَنّى، فيقول: بَيْنَنا وبَيْنَكُم كتابُ الله، فما وَجَدْنا فيه من حلالٍ اسْتَحْلَلْناهُ، وما وجدْنا فيه من حرام حَرَّمناهُ، ألا وإن ما حرَّمه رسول الله ﷺ مثل الذى حَرَّمه الله".

فما الذى سوّغ لهؤلاء القوم أن يقفوا عند ظواهر الكتاب، ولا يسترشدوا بنور النبوة، وهدى الرسالة، والكتـ ـاب يـ أمر باتباعها، ويتوعد على مخالفتها؟ قال تعالى: ﴿وأطيعـ وا الله

---

(١) النساء (١١).

(٢) الشورى (١١).

(٣) البقرة (٢٥٣).

وأطيعوا الرسول واحْذروا﴾[١]. وقال: ﴿من يطع الرَّسول فقَد أطاعَ الله﴾[٢]، وقال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٣]، وقال: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبَهم فتنةٌ أو يصيبَهم عذابٌ أليمٌ﴾[٤]. وقد دلت هذه الآيات على حجية السنة، ووجوب الرجوع إليها واعتبارها.

ورُتْبتها فى الاعتبار بعد رتبة الكتاب؛ فهى فى المقام الثانى منه، والدليل على ذلك:

١ – ثبوت الكتاب قطعى جملة وتفصيلاً وثبوتها فى الجملة قطعى وفى التفصيل ظنى.

٢ – حديث معاذ بن جبل حين أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن وسأله: بم تحكم؟ فقال: بكتاب الله. قال: فإن لم تَجِدْ؟ قال: بِسُنّة رسول الله.

٣ – وعن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه كتب إلى شريح القاضى: "انظر ما تبين لك فى كتاب الله فلا تسأل

---

(١) المائدة (٩٦) .

(٢) النساء (٨٠) .

(٣) الحشر (٧) .

(٤) النور (٦٤) .

عنه أحداً، وما لم يتبين لك فى كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ.

ومثل هذا كثير فى كلام السلف والعلماء.

فى اللغة والأدب:

كما اتفق أهل العلم والأدب على أن القرآن الكريم فى أعلى مراتب البلاغة – اتفقوا على أن الحديث النبوى فى المرتبة التالية لبلاغة القرآن؛ ففى السنة من روعة اللفظ، وسمو المعنى، والحكمة البالغة، واختيار العبارة، وجمال البيان ما يدهش البليغ ويعقد لسانه، فهذا أبو بكر – رضى الله عنه – يؤخذ ببلاغة الرسول ﷺ فيقول:"لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت من هو أفصح منك، فمن أدَّبك؟". وهذا على – كرم الله وجهه – يسمع الرسول ﷺ يخاطب وفد بنى نهد، فيقول له: "يارسول الله، نحن بنو أب واحد، وإنك تكلم وفود العرب بما لا نَفهمه. فمن عَلَّمَك؟!" فيجيب الرسول ﷺ صاحبَيْه بجواب واحد هو : "أدَّبَنى ربى فأحسن تأديبى". لقد اجتمع للرسول ﷺ ما لم يجتمع لغيره من قوة الطبع، وصفاء الحس، ومحض السليقة، وثقوب

الذهن، وتمكن اللسان، ومؤازرة الـ وحى، فكـ ان يقتضـ ب ويتجوز ويشتق وينهج المذاهب البيانية، ويرتجل الأوضـ اع التركيبية، ويضع الألفاظ الاصطلاحية، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان، وسرًّا من أسرار اللسان، يزيد فى ميراث اللغة، ويرفع من قدر الأدب، كقوله: "مات حَتْ فَ أنفه"، و"الآن حَمِىَ الْوَطيسُ"، و"هُدْنَةٌ على دَخَن"، و"يا خَيْ لَ الله أركبى"، و"لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزان"، وقوله لحادى النسـ اء: "رِفْقاً بالْقوارير". أو تسميته لصفر الأول (محرمـ اً)، حـ ين أبطل الإسلام النسىء، وحرم القتال، ووصفه لفرس عُ رىٍ لأبى طلحة ركبه فى ليلة بأنه (بَحْر)، مريداً بـ ذلك أنـ ه لا ينقطع جريه كما لا ينقطع تيار البحر، أو استحداثه – عليـ ه السلام – كلمة (الصِّير)، حين يقول: "من اطلع من صـِ ير[١] باب فقد دمر"[٢]، يريد بهذا الشق. قال أبو عبيد إمـ ام اللغـ ة المعروف: لم يسمع هذا الحرف إلا فـ ى هـ ذا الحـ ديث. أو وصفه للزانية (بالزّمارة) كما فى حـ ديث أبـ ى هريـ رة "أن النبى ﷺ نهى عن كسب الزّمارة". قـ ال ثعلـ ب: الزمـ ارة:

---

(١) صير الباب: شق الباب.

(٢) دمر: دخل.

الزانية؛ لأنها تشيع أمرها وكأنها تنفخ فى بوق، وهذا الحرف لم يسمع إلا فى هذا الحديث.

ومن جوامع كلمه – الذى يضيق به المقام – "وَعْدُ المؤمن كأخْذ اليد"، و"جَدَعَ الحلال أنْفَ الغيرة"، و"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"، و"المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضاً" و"اليد العُلْيا خير من اليد السفلى وابْدَأْ بِمَنْ تعول"[٣] و"دَعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك"، و"إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً المُوَطَّؤُون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون. وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدِّقون[١] المتفيهقون"[٢].

أضف إلى ذلك ما كان للحديث النبوى الشريف من أثر فعال فى نهضة الأدب لإقبال الأدباء عليه، يستظهرون كثيراً من عباراته، ويقتبسون منها، ويستعينون بها فى خطبهم وشعرهم، وتهذيب عباراتهم، وتغذية عقولهم.

---

(٣) تعمل: تكفل.

(١) المتشدق: الذى يلوى شدقه للتفصح.

(٢) المتفيهق : المتقطع فى كلامه.

كما أنها – أى السنة المطهرة – كانت سبباً فى وجود كثير من العلوم، نهل الكل منها؛ فالفقهاء وجدوا فيها ما يشبع نهمهم؛ فقد عكفوا على دراستها واستنباط أحكام الفقه منها. وعلماء الحديث يفسرونها ويتلقون ما فيها من هدى وحكمة ونور ومثل عليا، ترفع شأن الإنسانية وتوضح سماحة الإسلام، وأهل اللغة أخذوا يدرسونها للإفادة بعباراتها وألفاظها وتراكيبها وأخيلتها، وأهل البلاغة والأدب أخذوا يترسمون أثرها فيما أحدثت من معان بليغة، وما أوجدت من تعابير.

كان ذلك للعربية ثروة فى الأدب والعلم تفخر بها على كر الليالى ومر الأيام، كما أن الحديث رفع منزلة النثر وقضى على وَحْشىِّ الكلام وسَجْع الْكُهّان، وأوجد فى الشعر أغراضاً جديدة قضت على أغراض الجاهلية.

التراجم

من الصحابة:

١ – أبو هريرة رضى الله عنه:

عبد الرحمن بن صخر الدَّوسى، كنّاه رسول الله ﷺ بـ أبى هريرة لهرَّةٍ كان يحملها. أسلم عام خيبر سنة سبع للهجـرة، وكان عريف أهل الصفة الذين كانوا فى مسجد رسول الله ﷺ لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا يلهيهم عن ذكـر الله حـال، يتدارسون القرآن، ويروون السنة، ويتعلمون الأحكام. دعا له النبى ﷺ بالحفظ، فكان حافظ الصـحابة. أخـرج الشـيخان والترمذى عنه أنه قال: قلت: "يا رسول الله، أسمع منك أشياء فلا أحفظها. فقال: ابسط رداءك، فبسطه، فحدثنى حديثاً كثيراً فما نسيت شيئاً حدثنى به". ولازم النبى ﷺ فى كـل أحوالـه لعدم شغله بشىء من الدنيا يحفظ عنه، حتى كان كمـا قـال الشافعى: "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره".

روى عن النبى ﷺ، وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبـىّ بن كعب، وأسامة بن زيد وعائشة.. وغيرهم. وروى عنـه أكثر من ثمانمائة رجل من صحابى وتابعى، كـابن عبـاس وابن عمر وجابر وأنس وابن المسيب وابن سيرين وعكرمة ومجاهد وعطاء والشعبى.

وكان فى الحفظ والضبط بمكان كبير، قـ ـال سـ ـالم أبـ ـو الزُّعَيْزعة،مولى مروان بن الحكم وكاتبه: "إن مروان دعا أبا هريرة، فأقعده خلف السرير، فجعل يسأله، وجعلت أكتـ ـب، حتى إذا كان رأس الحول دعا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر".

أخرج له بقيٌّ بن مخلـ ـد (٥٣٧٤) حـ ـديثاً. تـ ـوفى سـ ـنة (٥٧هـ).

وأصح الأسانيد عنه: ابن شهاب الزهرى عن ابن المسيب عنه. وأضعفها السَّرى بن سليمان عن داود بن يزيد الأودى عن والده يزيد عنه.

٢ – عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:

عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى، وكنيته أبو عبدالرحمن. ولد بعد البعثة النبوية بقليل. أسـ ـلم مـ ـع أبيـ ـه وهاجر قبله وعمره عشر سـ ـنوات. استصـ ـغر يـ ـوم أحـ ـد، وحضر كثيراً من الغزوات، فشهد القادسية واليرموك، وفتح إفريقية ومصر وفارس، وقدم البصرة والمدائن.

كان ابن عمر مقبلاً على الله، محتاطاً لدينه، راغباً عن الدنيا، إذا أعجبه شيء أخرجه من ملكه وتصدق به، حتى عرف عبيده ذلك منه، فكان أحدهم يلازم المسجد ليعجب ابن عمر، فيعتقه، فقيل له: إنهم يخدعونك. فقال: "من خدعنا بالله انخدعنا له".

شهد له رسول الله ﷺ فقال: "إن عبد الله رجل صالح"، وشهد له العلماء بالفقه والرواية والعمل. وعاش حتى بلغ السادسة والثمانين، أفتى منها ستين سنة للوفود.

روى عن أبى بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وعائشة وحفصة.. وغيرهم. وروى عنه ابن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين والزهرى ونافع ومجاهد وطاوس وعكرمة، وبنوه: عبد الله وسالم وعاصم وحمزة وبلال وواقد، ومن عَقِبهُ عمر بن عبد العزيز.

قال ابن المسيب: "مات ابن عمر وما من الدنيا أحد أحب أن يلقى الله بمثل عمله منه. وروى له (٢٦٣٠) حديثاً.

وأصَحُّ الأسانيد عنه: مالك عن نافع عن ابن عمر. وهى السلسلة الذهبية. وأضعفها محمد بن عبد الله بن القاسم عن أبيه عن جده عنه.

٣ – السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها:

هى أم المؤمنين، بنت أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، أبى بكر الصديق. وأمها أُمُّ رومان بنت عامر. كنّاها رسول الله ﷺ بأم عبدالله. أسلمت فى العام العاشر من رسالته وهى بنت ست سنين، وبنى بها بعد بَدْر فى العام الثانى من الهجرة، ولم يتزوج بِكراً غيرها.

كانت – رضى الله عنها – فاضلة فقهية، ذكية زاهدة صابرة، تعلم اللغة والأنساب والشعر وأيام العرب والطب.

كانت تصوم حتى يضعفها الصوم، وتنفق حتى ما يبقى عندها درهم.روى أنها تصدقت بغرارة من الدراهم، وأفطرت فى ذلك اليوم على خبز الشعير. وقد أنزل الله فى شأنها قرآناً وبَرَّأها من السماء.

شهد لها الصحابة والتابعون بالعلم والفقه والحديث. قال أبو موسى الأشعرى: "ما أشكل علينا – أصحاب محمد ﷺ – أمر قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً".

أوصت ابن أختها عروة أن تدفن بالبقيع. وتوفيت سنة (٥٧هـ .) على الصحيح، وصلى عليها أبو هريرة.

روت عن أبيها وعن عمر، وسعد بن أبى وقاص وأسيد بن حضير.. وغيرهم. وروى عنها أبو هريرة وأبو موسى الأشعرى وزيد ابن خالد الجهنى وصفية بنت شيبة وابن المسيب وعلقمة بن قيس ومسروق بن الأجدع وعائشة بنت طلحة وحفصة بنت سيرين.. وغيرهم.

روى عنها (٢٢١٠) حديث. وأصح أسانيدها مما رواه يحيى ين سعيد عن عبيد الله بن عمر بن حفص عن القاسم بن محمد عنها، وما رواه الزهرى أو هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عنها. وأضعفها رواية الحارث بن شبل عن أم النعمان عنها.

٤ – عبد الله بن عباس رضى الله عنه:

ابن عم رسول الله ﷺ. وأمه أم الفضل، أخت أم المؤمنين ميمونة، وكنيته أبو العباس. كان – رضى الله عنه – بدر الأحبار، وفخر الفخار، قطب الأفلاك، وعنصر الأملاك، مفسر التنزيل، ومبين التأويل.

ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات. وروى أبو نعيم فى الدلائل أن النبى ﷺ قال لأم الفضل: إنك حامل بغلام، فإذا ولدت

فَأْتينى به. فلما ولدته أتته به، فأذَّن فى أُذُنه، وأقامَ فى أُذُنِه اليسرى والْتأه[١]، وسمّاه عبد الله.

رأى ابن عباس جبريل مرتين، وشهد الفتح وحُنَيْنًا والطائف وحجة الوداع، وفتْح إفريقيا والجمل وصِفّين.

كان فصيحاً جميلاً ألمعيًّا، مجتهداً فى تحصيل العلم. سُئِل: بِمَ نِلْت العلم؟ فقال: "بلسان سؤول وقلب عقول".

شهد له أصحاب رسول الله ﷺ بالتقدم فى القرآن والسنة والفقه واللغة. قال عمر: "ابن عباس أصبَحُ الفتيان وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً وأفقهم فى كتاب الله".

وبقى بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشد إليه الرحال للفتوى والرواية، لكمال خُلُقه وتواضعه واحترامه للعلماء.

قال ابن عيينة: "الناس ثلاثة: ابن عباس فى زمانه، والشّعْبى[١] فى زمانه، والثَّوْرى فى زمانه"[٢].

---

(١) صب الريق فى حلقه .

(١) عامر الشعبى .

(٢) سُفْيان الثوْرى .

لقَّبه رسول الله ﷺ بترجمان القرآن، وكان ذلك ببركة دعائه عليه السلام له: "اللهم فَقِّهْهُ فى الدين وعلِّمه التأويل، اللهم آته الحكمة، اللهم بارك فيه وانشر منه".

قيل فى تفسيره: لو سمعه أهل الروم والديلم لأسلموا.

توفى سنة (٦٨هـ .)، وصلى عليه ابن الحنفية[٣].

روى عن على وعمر وأُبَىّ بن كعب، وعن معاذ وأبىذر. وروى عنه ابن عمر وأنس، وسَهْل بن حنيف.

أصح أسانيده: الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. وأضعفها محمد بن مروان السدى الصغير عن الكلبى عن أبى صالح. روى عنه (١٦٦٠) حديثاً.

---

(٣) محمد بن الحنفية هو ابن على بن أبى طالب.

من التابعين:

١ – سعيد بن المسيب:

سعيد بن المسيب بن حزن القرشى المخزومى، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ومن كبار التابعين فقهاً وديناً وعبادة وفضلاً، قال ابن حبان: "كان أفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا، ما نودى للصلاة من أربعين سنة إلا وسعيد بالمسجد ملازماً الصف الأول مع الجماعة". وقال أحمد ابن حنبل: "أفضل التابعين سعيد بن المسيب".

ولد فى خلافة عمر بن الخطاب. ولما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة فى أيام عبد الملك ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل، وأطافه، وعرضه على السيف، فلم يبايع.

حج أربعين حجة، وكان يسرد الصوم. شهد له العلماء بالورع والأمانة، وكان يقال له (فقيه الفقهاء). قال ابن المدينى: "لا أعلم فى التابعين أوسع علماً منه، وإذا قال سعيد مضت السنة، فحسبك به، وهو عندى أجل التابعين". وقال الزهرى: "جالسته سبع حجج، وأنا لا أظن عند أحدٍ علماً غيره".

وروى عن أبى بكر، وسمع من عمر ومن عثمان ومن زيد بن ثابت وعائشة وأبى هريرة وغيرهم.

وروى عنه سالم بن عبد الله، والزهرى، وقتادة وشريك، وأبو الزناد ويحيى بن سعيد الأنصارى.. وغيرهم. توفى سنة (٩٤هـ).

٢ – ابن شهاب الزُّهرى:

هو العالم الفقيه محمد بن مسلم بن عبد الله الذى قال فيه اللَّيْث بن سعد: "ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهرى؛ يُحدِّث فى الترغيب فكأنه لم يُحسن غيره، ويحدث عن السنة والقرآن فيكون حديثه جامعاً".

كان يسكن فى قرية بين الحجاز والشام تسمى (أيْلة)[١]، وقد ذهب صيته حتى أمسى مرجع علماء الحجاز والشام، وقد جالس سعيد بن المسيّب ثمانى سنوات فى قرية له بأطراف الشام تسمى (شعبدا)، وبها كانت وفاته سنة (١٢٣هـ).

(١) عند خليج العقبة .

كان يدوّن ما يسمع من الحديث. قال صالح بن كيسان: "كنت أطلب العلم أنا والزهرى، فقال: تعال نكتب ما جاء عن النبى ﷺ، ثم قال: تعال نكتب عن الصحابة. فكتب ولم أكتب، فنجح – أى الزهرى – وضعنا، أى نحن.

ويروى عنه – فى معرض الاستشهاد على حفظه وضبطه – أن هشام ابن عبد الملك بن مروان سأله أن يملى على بعض ولده شيئاً فأملى عليه أربعمائة حديث، وخرج الزهرى، فقال: أين أنتم يا أصحاب الحديث؟ فحدَّثهم بتلك الأربعمائة، ثم لقى هشاماً بعد شهر ونحوه، فقال هشام للزهرى: إن الكتاب ضاع منى. فدعا – أى هشام – فأملاها عليه – أى الزهرى – ثم قابل ما أملاه بالكتاب الأول، فما غادر حرفاً واحداً، فلما أعجب بعلمه جعله مؤدِّب أولاده.

ومن أجل هذا الضبط وتلك الدقة قال عمرو بن دينار معترفاً فضل الزهرى: ما رأيت أنصَّ للحديث من الزهرى.

وقد قيل إن أحاديثه قد بلغت ألفاً ومائتين.

روَى عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وسهل بن سعد وعروة ابن الزبير وعطاء بن أبى رباح.

ويرى الإمام البخارى أن أصحَّ أسانيده ما كان عن ابن شهاب الزهرى عن سالم عن أبيه.

وأما ابن أبى شيبة فيرى أن أصح أسانيده عن الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه عن جدّه (على).

ولا مشاحة فى أن صحة الرواية عن الاثنين تبدأ بابن شهاب الزهرى.

٣ – الحسن البصرى:

الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى أبو سعيد، مولى الأنصار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ونشأ فصيحاً عالماً عاملاً شجاعاً.

كان يُزهّد الناس فى الدنيا، استولى عليه الخوف من الله، فعاش حزيناً. ومن قوله: "إن المؤمن ليصبح حزيناً، ويمسى، ولا يسعه غير ذلك؛ لأنه بين مخافتين، بين ذنب قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه، وأجلٍ قد بقى لا يدرى ما يصيب فيه من المهالك".

كان إذا ذكر عند أبى جعفر الباقر يقول: "هذا الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء". وقال قتادة: "ما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه.

قال ابن سعد فيه – فى الطبقات –: "كان الحسن جامعاً عالماً، رفيع القدر، فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً جميلاً وسيماً، وكان ما أسند من حديثه وروى عَمَّن سمع منه فهو حجة وما أرسل فليس بحجة".

ولى قضاة البصرة فى أيام عمر بن عبد العزيز، ثم استعفى. توفى سنة (١١٠هـ).

روى عن أُبَىّ بن كعب وسعد بن عبادة وعمر بن الخطاب، ولم يدركهم.

وروى عن عَمّار بن ياسر وأبى هريرة ومَعْقل بن سنان، ولم يسمع منهم. ورأى علياً وطلحة وعائشة.

روى عنه حُمَيد، وأيوب السَّخْتَيانى وقتادة وسماك بن حرب وجرير ابن حازم.

ومن تبع التابعين:

١ - الإمام مالك بن أنس:

مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى، نسبة إلى (ذى أصبح) من ملوك اليمن. رأس المتقين، وكبير المتثبتين، علم الإسلام، أمير المؤمنين فى الحديث. كان - رضى الله عنه - ورعاً تقيًّا سخيًّا، حسن السمت؛ وقوراً نظيفاً، بصيراً بنقد الرجال، واسع الرواية، حسن الاستنباط والتخريج، قوى الاحتجاج، مضبوط الفقه، حجة المجتهدين، ومرجع المحدِّثين فى عصره. قال البخارى: "أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر". وقال النسائى: "ما عندى أنبل من مالك، ولا أجل منه، ولا أوثق ولا آمن على الحديث منه، ولا أقل رواية عن الضعفاء. ما علمناه حدَّث عن متروك إلا عن عبد الكريم بن أبى المخارق البصرى". وقال ابن حبان: "كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة مع الفقه والدين والفضل والنسك، وبه تخرَّج الشافعى".

ألَّف الموطّأ. وأراد المنْصور أن يحمل الناس عليه فأبى مالك. وفى موطئه يقول الإمام الشافعى: "ما على وجه

الأرض أكثر صواباً من موطأ مالك". وهو فى الرتبة بعد مسلم على الصحيح.

وقيل أنه جمعه من مائة ألف حديث، وألفه فى أربعين سنة، وعرضه على سبعين فقيهاً مدنيًّا، ورواه عنه أكثر من ألف رجل.

قال الذهبى: اتفق لمالك مناقب ما عَلِمتُها اجتمعت لغيره. أولاً: طول العمر وعُلُوّ الرواية. ثانياً: الذهن الثاقب والفهم وسعة الاطلاع. (كان يقال: أيُفْتى ومالكُ فى المدينة). ثالثاً: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية. رابعاً: تجمعهم على دينه وعدالته واتباع السنة. خامساً: تقدمه فى الفقه والفتوى وصحة قواعده.

ولد سنة (٩٣هـ.)، وتوفى (١٧٩هـ.). قال عند موته: "لله الأمر من قبل ومن بعد".

روى عن نُعَيم المُجْمِر، وزيد بن أسلم، ونافع، وحميد، وسعيد المقبرى، وشريك بن عبد الله، والزهرى، وربيعة بن عبد الرحمن، وأبى الزناد، وخاتمة أصحابه حذاقة السهمى الأنصارى.

وروى عنه: الزهرى ويحيى بن سعيد، والأوزاعى والثورى، وشُعْبة ابن الحجاج، وابن جريج والليث بن سعد، وأبو إسحق الفزارى، والقطان، وابن مهدى، والشافعى وابن المبارك وابن وهب.

٢ – الإمام الشافعى:

هو محمد ابن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، وإلى جدِّه الأخير (شافع)، نُسِب فعرف بالشافعى، وكنيته أبو عبد الله. وُلد بغَزّة سنة (١٥٠هـ .)، ونشأ فى مكة، وفيها تلقى العلم، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وجَوّده على مقرئ مكة فى ذلك الحين، إسماعيل بن قسطنطين.

حدث عن مالك بن أنس – إمام أهل المدينة – وحفظ موطأه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وعرضه عليه.

كما حدّث عن سفيان بن عُيَيْنة وعبد الملك بن الماجشون، أما الفقه فقد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجى.

وكان بارعاً فى اللغة والشعر قوى الحجة فى المناظرة، جمع بين فقه الحجازيين والعراقيين والمصريين.

تنقَّل بين الحجاز واليمن والعراق، ثم استقر به المطاف فى مصر سنة (١٩٩هـ).

أما كتبه فهى كثيرة متنوعة الفنون، فقد كتب فى التفسير والحديث والفقه والأدب، وأشهرها كتاب (الرسالة) الذى وضعه تلبية لرغبة عبدالرحمن مهدى فى أصول الفقه.

وله كتاب (الأم) الذى جمع فيه أعظم العلوم الدينية، ومنه ومن كتابه (المبسوط) التقط محمد بن جعفر النيسابورى، أبو عمرو أحاديثه المسندة، فظن بعض العلماء أن للشافعى مُسْنداً مستقلاً فى الحديث.

روى عنه الإمام أحمد بن حنبل، وأبو عُبَيْد القاسم بن سلاّم وعبد الله بن الزُّبَيْر الحُمَيدىِ، شيخ البخارى؛ وأبو ثَور إبراهيم بن خالد البغدادى ويوسف بن يحيى البُوَيطى وحَرملة بن يحيى والحسن بن محمد الزعفرانى.

قال الحافظ الذهبى عن مهارة الشافعى فى الحديث: "كان حافظاً للحديث، بصيراً بعِلَلِه، لا يقبل منه إلا ما ثبت عنده، ولو طال عمره لازداد منه".

وقال الإمام أحمد بن حنبل: "ما مسَّ أحد محبرة ولا قلماً إلا وللشافعى فى عنقه مِنَّةٌ".

وقد سُئل إسحق بن راهوَيْه: كيف وضع الشد افعى ه ذه الكتب وكان عمره يسيراً؟

فقال: جمع الله له عقله لقلة (عمره).

توفى – رحمه الله – فى مِصْر سنة (٢٠٤هـ .) عن أربع وخمسين سنة ودفن بها.

٣ – سفيان الثورى:

سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الكوفى، كان أبوه من علماء الكوفة، الإمام الحجـ ـة الحـ ـافظ الضـ ـابط أمير المؤمنين فى الرواية التقى الناسك المتقن، قال ابن المبـ ـارك: "كتبت عن مائة شيخ وألف شيخ فما كتبت عن أفضـ ـل مـ ـن سفيان، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، رأيت سعيد بن جبير وغيره وتقول ذلك؟ قال: هو ما أقول، ما رأيت أفضل منه". قال مالك: "كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب، ثـ ـم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان".

قال الخطيب: "كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً مـ ـن أعلام الدين، مجمعاً على إمامته، بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الإتقان والحفظ والمعرفة والورع والزهد".

توفى فى البصرة متخفياً من المهدى – لأنه كان قوالاً بالحق، شديد الإنكار – سنة (١٦١هـ .) وعمره أربع وستون سنة.

روى عن الأعمش وعاصم الأحول وسليمان التيمى، وعبد الله بن دينار، وابن الْمُنْكدر، وغيرهم.

وروى عنه أبان بن عبد الله الأحمسى الكوفى، والأوزاعى، ومسعر ابن كدام، وعبد الرحمن بن مهدى، وآخر من حدث عنه على بن الجعد. وله كتاب الجامع الكبير والصغير وكتاب الفرائض.

ومن تبع أتباع التابعين:

١ – الإمام أحمد بن حنبل:

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانى، أبو عبـ د الله المروزى، ثم البغدادى. ولد فى بغداد سنة (١٦٤هـ .)، وبها طلب العلم وطلب الرواية فى كثير من البلدان. وكان غايـ ـة فى الورع والزهد، جليلاً فى العربية والفقـ ـه، مـ ـن أمـ ـراء المؤمنين فى الحديث، ومن المنفردين بمعرفة الآثـ ـار عـ ـن الصحابة والتابعين مع الضبط فى علمه والورع فى فتاويه.

امتحن بالقول بِخَلْقِ القرآن، فَصَدَق وصَبَر، فكان كما قال بِشْر ابن الحارص الحافى: "دخل الكير فخرج ذهباً إبريـ ـزاً"؛ فقد ضُرِب وسُجن وهو مُمْتَنِع.

ألف (المُسند)، وهو أجمع كتاب فى السُّنَّة، ومـ ـن جملـ ـة أصول الرواية، وبه ثمانية عشر مسنداً، ومات قبل أن يهذبه.

اختصره سراج الدين عمر بن على (ابن الملقن) المتوفى سنة (٨٠٥هـ .). وشرحه أبو الحسن بن عبد الهادى السـ ـندى المتوفى (١١٣٩هـ .).

وللإمام أحمد كتاب التاريخ وكتاب فضـ ـائل الصـ ـحابة، وكتاب الأشربة، وكتاب الزهد، وكتاب الورع.

شهد له بالصدق والحجية والإتقان والورع النسائى وابن سعد وأبو حاتم. قال ابن حجر: "ثقة، فقيه، حافظ، حجة، رأس الطبقة العاشرة". توفى سنة (٢٤١هـ . .) عن سبع وسبعين سنة.

روى عن بشر المفضل الرقاشى، وإسماعيل بن عُلَيَّة وابن عيينة، ويحيى ابن سعيد القطان وسليمان بن داود الطيالسى، وعبد الرازق بن همام الصنعانى، والشافعى، ومعتمر بن سليمان البصرى.

وروى عنه البخارى ومُسلم وأبو داود وابن مهدى، ووكيع بن الجراح ويحيى بن آدم الكوفى، ويحيى بن سعيد القطان وعلى بن المدينى.

وله كُتُب العلل والزهد والتفسير والمسائل والناسخ والمنسوخ وغيرها.

٢ – الإمام البخارى:

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخارى، إمام الدنيا فى علم الحديث. طلب الحديث وأخذ يحفظه وسنه لم يتجاوز عشر سنوات، واختلف إلى الشيوخ، ورحل إلى الشام

ومصر والجزيرة والبصرة والحجاز والكوفة وبغداد وكتب عن أكثر من ألف شيخ.

كان قليل الأكل، كثير الإحسان إلى الطلبة، شديد الورع، يكثر من قراءة القرآن ليله ونهاره. قال فيه ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ من محمد بن إسماعيل البخارى". جاء مسلم ابن الحجاج فقبَّله بين عينيه وقال: "دعنى أُقبِّل رِجْليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث فى علله".

ألف كثيراً من الكتب، منها: التواريخ الثلاثة الأصغر والأوسط والكبير، والأدب المفرد، وكتاب الكنى، وكتاب الجامع والصحيح وهو أول كتاب أُلّف فى الصحيح المجرد، واتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن، وعدة ما فيه من الأحاديث المكررة (٧٣٩٧). واعتنى العلماء به فاختصر وشرح. منها (أعلام السنن) للخطابى، و(الكواكب الدرارى) شرح الكرمانى، (وعمدة القارى) شرح العينى، و(إرشاد السارى) للقسطلانى، وأحسنها (فتح البارى) للعسقلانى.

شهد له العلماء بالتقدم والإتقان وسعة الرواية ونقد الرجال. قال الترمذى: "لم أر فى العلل والرجال أعلم من البخارى".

دخل سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث، وركّبوا له أسانيد، وخلطوا أسماء رجالها، ثم قرأوها عليه، فرد كل حديث إلى إسناده.

ولد سنة (١٩٤هـ .). وتوفى سنة (٢٥٦هـ .) بخَرتَنْك من أعمال سمرقند.

روى عن الضحاك بن مخلد أبى عاصم النبيل، ومكى بن إبراهيم الحنظلى، وعبد القدوس بن الحجاج أبى المغيرة، وعبيد الله بن موسى العبسى، ومحمد بن عبد الله الأنصارى.

وروى عنه الترمذى والنسائى وأبو زرعة وأبو حاتم وإبراهيم بن إسحق الحربى، ومحمد بن أحمد أبو بشر الدولابى ومحمد بن يوسف الفَرَبْرى (رواية البخارى) ، ومنصور بن محمد الْبَزْودى، وحمّاد بن شاكر، والنسفى بن معقل.

٣ – الإمام مسلم:

هو مُسْلم بن الحجاج بن مسلم القُشَيرى النيسابورى. وكنيته: أبو الحسين. أجمع العلماء على إمامته فى الحديث، وتضلعه فى الرواية. وقد رحل كثيراً فى طلبه عن شيوخه: يحيى بن يحيى، وإسحق بن راهويه ومحمد بن مهران وسعيد بن منصور وأحمد بن حنبل وعبد الله ابن مسلمة وعمرو ابن سواد وحرملة بن يحيى.

وروى عنه الترمذى وأبو حاتم الرازى وأحمد بن سلمة وموسى بن هارون ويحيى بن صاعد ومحمد بن مخلد يعقوب بن إسحق الاسفراييني والفرّاء (محمد بن عبد الوهاب)، وعلى بن الحسين، والحسين بن محمد ابن زياد القبانى، وإبراهيم بن محمد بن سفيان (راوية صحيح مسلم).

وله مؤلفات كثيرة، أهمها: صحيحه المشهور، وكتاب (العِلَل)، وكتاب (أوهام المحدثين)، وكتاب (من ليس له إلا راوٍ واحد)، وكتاب (طبقات التابعين)، وكتاب (المخضرمين)، وكتاب (المسند الكبير) على أسماء الرجال، وكتاب (الجامع الكبير) على الأبواب.

أما صحيحه مع صحيح البخارى فهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى (القرآن الكريم)، وقد تلقتهما الأمة بالقبول، وأكثر أهل العلم على أن صحيح البخارى أصحُّهما.

كان الإمام مسلم – رضى الله عنه – شديد الاعتزاز بصحيحه لما بذل وأنفق فى سبيل جمعه وتدوينه من الجهد، فقد صنفه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة متداولة، فكان يقول: "لو أن أهل الحديث يكتبون مائتى سنة الحديث فمدارُهُم على هذا المسند"، يقصد – رضى الله عنه – صحيحه.

كانت ولادته فى نيسابور سنة (٢٠٦هـ)، وتوفى بها سنة (٢٦١هـ) عن خمس وخمسين سنة.

٤ – الإمام أبو داود:

هو الإمام الثَّبْتُ، سيد الحفاظ، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدى السِّجستانى. والسِّجِسْتانى نسبة إلى (سِجِسْتان)، وهى الإقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند (أفغانستان).

ولد سنة اثنتين ومائتين (٢٠٢هـ .)، وسكن البصرة، وقدم إلى بغداد أكثر من مرة، وروى كتابه المصنف فى السنن بها، ونقله عنه أهلها.

قضى فى البصرة معظم سنين حياته، وكانت مركز العلم والعلماء والطلاب. وتوفى فيها فى الرابع عشر من شوال عام خمس وسبعين ومائتين (٢٧٥هـ .)، عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثورى رضى الله عنهما.

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى عن رحلته فى طلب العلم والحديث: وهو أحد من رحل وطوَّف البلاد وجمع وصنف وسمع بخراسان والعراق والجزيرة والشام ومصر.

أخذ الحديث عن مسلم بن ابراهيم، وسليمان بن حرب وعبد الله بن مسلمة القعنبى، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل وغيرهم.

روى عنه ابنه عبد الله (أبو بكر)، وأبو عبد الرحمن النسائى، وأحمد ابن سليمان النجار، والترمذى.

كان أبو داود – كما عُرف عنه – فى أعلى درجات النسك والعفاف والصلاح والزهد والورع.

وقال بعض الأئمة: إن أبا داود يشبه أحمد بن حنبل فى هديه وسَمْته ودلِّه، وكان أحمد يشبَّه بوكيع، ووكيع بسفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم، وهو بعلقمة، وهو بابنِ مسعود. وقال علقمة: كان ابن مسعود يُشَبِّه بالنبى ﷺ.

اعترف له أكابر العلماء فى عصره وبعد عصره بالعلم والفضل؛ قال أبو بكر الخلاّل: أبو داود هو الإمام المقدَّم فى زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم وبصره بمواضعه أحد.

وقال موسى بن هارون: خُلِقَ أبو داود فى الدنيا للحديث، وفى الآخرة للجنة، وما رأيت أفضل منه.

وقال الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره بلا مدافعة. وقال الإمام النَّووى:... واتفق العلماء على الثناء على أبى داود ووصفه بالحفظ التام والعلم الوافر والإتقان والورع والدين والفهم الثاقب فى الحديث وغيره.

عدَّد السيوطى فى (تدريب الراوى) تآليف أبى داود على النحو التالى: السنن، المراسيل، الرد على القدرية، الناسخ والمنسوخ، فضائل الأنصار، مسند مالك، المسائل، معرفة الأوقات، وغيرها.

و(السُّنن) من أهم تصانيفه.

ويذكر أنه لمّا أتم تصنيفه عرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه.

وهى جامعة للأحاديث التى استدل بها فقهاء الأمصار، وبنوا عليه الأحكام.

وقرظها بعض علماء فن الحديث، قال الإمام أبو سليمان الخطابي فى شرحه لها المسمى (معالم السنن)[١]: اعلموا – رحمكم الله – أن كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنف فى علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من كافة الناس، فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فالكل منه وَرَدَ ومنه شرب؛ وعليه مُعَوَّل أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من أقطار الأرض، فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب أحمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج، ونحا نحوهم فى جمع الصحيح على شرطهما فى السبك والانتقاد، إلا أن كتاب أبى داود أحسن وضعاً وأكثرهم فِقْهاً.

---

(١) راجع كتاب سنن أبى داود الصادر عن دار الحديث فى حمص مع شرحه كتاب (معالم السنن) بخمس مجلدات، بطبعته الجديدة.

وقال الإمام النووى: وينبغى للمشد تغل بالفق ه وغير ره الاعتبار بسنن أبى داود وبمعرفته ه التام ة؛ فإن معظ م الأحاديث التى يحتج بها فيه، مع سهولة تناول ه وتلخ يص أحاديثه وبراعة مصنفه واعتنائه بتهذيبه.

وقال ابن الأعرابى: لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا كتاب الله عز وجل ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شىء من العلم البتة.

٥ – الإمام الترمذى:

هو الإمام الحافظ الناقد، رأس أصحاب السنن، محمد ب ن عيسى بن سَوْرة التِّرمذى، وهذه نسبة إلى مكان ولادته ف ى تِرْمذ. وكنيته أبو عيسى. ولد سنة (٢٠٠هـ .)، واشتهر من ذ نعومة أظفاره بشغفه بالعلم، وعلى الخصوص علم الح ديث، فجمع وأوعى.

دخل بخارى، وحدّث بها، وتنقل فى كثير م ن البل دان، وسمع من البخارى ومسلم وإسماعيل بن موسى السُّدّى.

وروى عنه كثيرون، منهم الهيثم ب ن كُلَيْ ب الشاش ى، ومكحول بن الفضل، ومحمد بن محبوب المحبوبى المرْوَزى (راويته فى كتابه الجامع المعروف بسنن الترمذى).

من مؤلفاته: كتاب (العلل)، و(الشمائل) و(أسماء الصحابة) و(الأسماء والكُنى)، وأشهرها (الجامع). ولقد قال مصنفه: "ما أخرجت فى كتابى هذا إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء".

ولقد أشار عبد الله بن محمد الأنصارى إلى مزايا كتـ ـاب (الجامع) فقال: "كتاب الترمذى عنـ ـدى أنـ ـور مـ ـن كتـ ـاب البخارى ومسلم".

فقيل له – أى قال له محمد بن طاهر المقدسى: ولِمَ؟

فقال: "لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن، وكتاب الترمذى قد شرح أحاديثـ ـه وبيّنها، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم.

وكان الترمذى يعرف قدر كتابه ومنـ ـزلته، فيقول:

صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان ورضوا به، ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنمـ ـا فى بيته نبى يتكلم.

ولقد أصيب الإمام الترمذى فى أواخر حياته فى عينيـ ـه؛ وتوفاه الله بترمذ عام (٢٩٧هـ .)، ودفن بها.